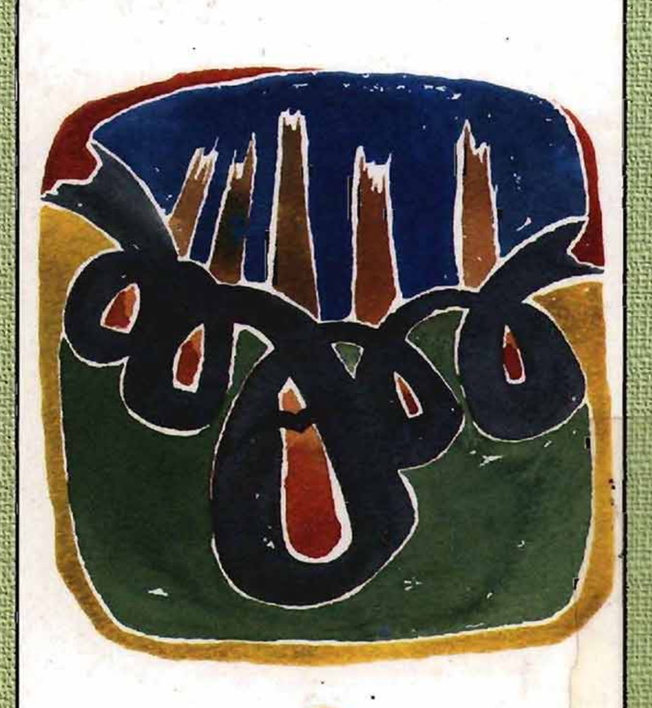
جامع الأصول في الأولياء

-1-

الأولياء وأوصافهم

احمد النقشبندي الخالدي





جامع الأصول
الأولياء وأوصافهم

أحمد النقشبندي الخالدي

جامع الأصول
الأولياء وأوصافهم

تحقيق أديب نصر الدين

الغلاف: محمد شمس الدين



ص. ب ١١٣/٥٧٥٢
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى ١٩٩٧

المحتويات

تمهيد

هذا كتاب اتخذ له المؤلف أو الجامع إسماً ملائماً لمحتوياته وتنويعاته وتفاصيله. فقد انكب على جمع الشواهد والأقوال والتجارب والأوصاف وقدّم لنا أصول الطرق ومهمات المريدين والشيوخ مع شروحات وإضافات تتناول تعابير ومصطلحات ومفاهيم التصوف. فاختار له إسم:

كتاب جامع الأصول في الأولياء وأنواعهم وأوصافهم وأصول كل طريق ومهمات المريد وشروط الشيخ وكلمات الصوفية واصطلاحهم وأنواع التصوف وألف مقام. جامعاً المعلومات وموثقاً لها في عناوين شاملة وتفصيلية بأسلوب الإسناد عبر قول المؤلف فحسب، وهو إسناد بحد ذاته موثوق ما دام المؤلف أحد المشايخ في الطريقة النقشبندية دون أن يقتصر الكلام عليها.

والكتاب التزم عنوانه وتطرق بالفعل إلى مختلف الطرق ورؤيتها إلى المسائل بأسلوب الجمع والمقارنة تأكيداً على موضوعية تخدم نهج التصوف بشكل عام دون الدخول في المتاهات النقدية، حيث تجنّب التعارض واقتصر على التوافق. وقد وعى المؤلف أهمية موضوعه فرتّب كلامه على الفرق ومفاهيمها بحيث يتلاءم مع النص القرآني والحديث النبوي الشريفين. فأورد الشواهد ودعّمها وردّدها وقلّبها على أكثر من محمل حتى أتت راسخة قوية وشاملة في المواضيع وفي الإشباع.

وفي هذا الكتاب، كما في كتب الصوفية أدلة على «الكرامات والخوارق» تثير الدهشة والتساؤل وتطرح على القارىء سؤالاً حول حقيقة تخلص الصوفي من القوانين التي تسري على البشر. كبقاء شيخ هذه الطريقة أو تلك أشهراً وسنين دون نوم أو طعام أو كتخفيف الثياب أو التعري في أيام شديدة البرد...

فهل يشكل عالم التصوف والمتصوفة سلوكاً مغايراً للطبيعة وقوانينها، أم أن المسألة هي في التشديد على نفوسهم وإخضاعها قدر المستطاع إلى إرادتهم حتى أقصى حالات التحمل أو التعرّض للمرض والموت.

قال الغزالي: شدّدوا على أنفسهم حتى هلك بعضهم بشدّة الرياضة فالصوفي يتوجه نحو الداخل، نحو نفسه، التي يعتبرها عدوه، فيصارع معها في معركة داخلية ويقسو عليها حتى حدود القهر. ويصف الجنيد هذا الصراع بالقول: أعظم منحة يمنحها الله العبد أن يمكنه من هواه، فإنه من اليسير أن يهدم الإنسان جبلاً بأظافره من أن يتغلّب على هواه.

وإذ يتخذ الصراع مع النفس أشكالاً مختلفة وقساوة مضنية كصراع النفس مع متطلبات الحياة في النوم والكساء والمسكن والغذاء والجنس وغيرها، فإن الصوفي يدعو إلى أن يتخلص من سيطرة الحاجة ومن قانون الحياة الزائلة إلى أن ينتصر على الحاجة فيمتلكها بدلاً من أن تتملكه ويخضعها لإرادته بدلاً من أن تخضعه وتسيّره، وهو بذلك يخوض صراعاً داخلياً ينأى عن صراعات الدنيا ومتطلباتها، مشاغلها ومشاكلها ويؤدي إلى حياة خاصة خارج حركة الحياة اليومية. وهذا ما ترك مآخذ من البعض متهماً المتصوفة بالهروب من مواجهة الحياة وبالخروج على سنتها وتقديرها وهي إحدى عطاءات الخلق وقد أوصى بها.

وفيما نحن في تحقيق لهذا الكتاب بعيداً عن القراءة النقدية له أو للطريقة أو الصوفية، إلاّ أننا وبشكل سريع نحاول أن نلقي نظرة سريعة على أسلوب الكاتب الذي لم يكن بعيداً أبداً عن أسلوب الكتاب العربي في القرون الوسطى وما تلاها، وعلى طريقتنا في التعامل مع الكتاب لجهة قراءته أو تبويبه أو تفصيله.

فالكتاب جملة واحدة من أوله إلى آخره من حيث الشكل، وإن كان يحمل أفكاراً مختلفة أو متابعة أو متوالدة بعضها عن بعض. فلا فصول ولا أجزاء ولا أقسام ولا مقاطع وحتى العناوين كانت جزءاً من «الجملة الواحدة».

قد حاولنا التفصيل قدر الإمكان تبعاً لفهرست وضعه المؤلف في أول الكتاب دون أن يطابق بين الفهرست والنص، وجلّ ما كان إشارات غير منضبطة وخطوط غير موحدة القياس وضعها الكاتب فوق الكلمات الرئيسية إشارة إلى ابتداء باب جديد، أو معنى جديد داخل الباب الواحد أو الفصل الواحد.

ويسيطر على أسلوب الكاتب الإستطراد من أول الفصل إلى آخره حتى ليبدو الفصل كأنه مقطع واحد، بجملة واحدة.

أما الجملة فقراءتها تجرّك من معنى رئيسي يتولد منه ويتشعب عدة معانٍ إلى معنى آخر مماثل، هذه المعاني المتعددة لا رابط بينها إلاّ كلمة واحدة قد تكون معطوفة على غيرها، وهذه إلى ما قبلها حتى يعيدك بشكل معاكس إلى أول الجملة التي تضيع بينها الفواصل في المعنى دون ذكر أية إشارة من إشارات الفصل أو التفصيل أو الإستفهام والتعجب والإعتراض وغيرها، ودون أن يمكنك ذلك الأسلوب من تفكيك الجملة والتميز بين الجملة الأصلية والجمل المتفرعة عنها أو بين الجملة الأساسية والجملة الإعتراضية...

ذلك أن الجملة الإعتراضية أو التوضيحية تصبح بذاتها جملة أساسية وذات معنى رئيسي يتشعّب منها المعاني والإستطراد.. وأيضاً دون فواصل.

أما واو العطف فقد استخدمت في أوسع صلاحياتها بل تخطّت ذلك إلى دور الإبهام. فهي واو العطف وواو الجمع وواو التفصيل والشرح، وهي لا تميز بين إسم وفعل أو بين نعت أو منعوت..

وحقيقة فإن تحقيق كتاب بهذا الأسلوب اللغوي والبنيوي يكمن في

معرفة قراءة النص أولاً. وصعوبة القراءة هنا تكمن في ناحيتين: المعنى والمبنى.

فالمعنى غير مألوف لا قديماً ولا حديثاً وهو اعتماد أهل الصوفية على الفاظ وتعريفات خاصة بهم ولا بدّ للقارىء أن يتأنى في قراءته ويعتاد على الألفاظ والأسلوب. يقول القشيري «من المعلوم أن لكل طائفة من العلماء ألفاظاً يستعلمونها انفردوا بها عمّن سواهم... وهذه الطائفة يستعملون ألفاظاً فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم والستر على من باينهم في طريقتهم، لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة «على الأجانب».

وفي هذا الإطار استخدم الكتاب ألفاظاً خاصة واشتقاقات خاصة. فالكلمة جديدة واشتقاقاتها مختلفة عن المألوف حتى يشكل عليك المعنى... وتركيب الجملة يزداد تعقيداً إذا صادف وتجاوزت الكلمات ذات الإستدلالات الغربية، وما أكثرها أو بالأحرى وما أندر غيرها... لكن من بين هذه التعقيدات ينبغي أن ينتبه القارىء إلى الأسلوب ويعتمد هو أيضاً أسلوباً مميزاً في القراءة بحيث يربط معنى اللفظة بمعنى الجملة أو المقطع، ومعنى الجملة أو المقطع بالمعنى العام للباب. وهذه أمور تتطلب تدخلاً ذاتياً من فهم القارىء ويساعده في ذلك تكرار المصطلحات كما يساعده تكرار لقراءة النص.

وفي المبنى يرتبط تشكيل النص مع المعنى إرتباطاً محكماً، فمدلول الألفاظ يؤثر بحد ذاته على الجملة من ناحية تركيبها ويضفي عليها إشكالاً جديداً متلازماً مع إشكال المعنى والإشتقاقات غير المعهودة.

إلى ذلك تبرز في الكتاب عيوب لغوية لا نجد لها سبباً وهي في التأنيث والتذكير، كماتبرز استخدامات تشوه الجمع في بعض الكلمات من أجل الحفاظ على أسلوب السجع.

إلى ذلك أيضاً يقع الكاتب أو الناسخ في أخطاء التاء فهي في الكلمة الواحدة التي تتكرر في المقطع الواحد طويلة تارة ومربوطة أخرى مثل كلمة: حضرة، المعاناة... وهذه الهفوات إن دلّت على شيء فعلى أن المؤلف ربما يكون قد ألقى النص محاضرات شفهية قام أثناءها من خطها

وعاد فنسخها إلى أن أصبحت على ما عليه في كتاب جامع. وما يدعم هذا الإحتمال هو التكرار للشواهد وحتى للشروحات الواردة.

إلى ذلك يبقى الكتاب واحداً من الكتب الجامعة للطرق على أنواعها، فهو عالج الطرق النقشبندية والشاذلية أساساً وقارنها بطرق أخرى كانت سائدة مستشهداً بأقوال شيوخها ومؤسسيها حتى أحاطنا إحاطة وافية بما أراد. واتبع الكتاب بشروح المصطلحات الصوفية وهو القسم الذي أعطيناه عنوان: معجم الكلمات والمصطلحات الصوفية وقد استخرجناه من الإسم الكامل للكتاب.

أما الكتاب «المعجم» فقد أتاه الكاتب في موقعين من الكتاب:

الجزء الأول: وفي ٣٨ صفحة من أول الكتاب في قسم الهوامش.

الجزء الثاني: في ٤٠ صفحة من آخر الكتاب.

وكان قد قسّم الجزء الأول إلى أبواب تعتمد الترتيب الأبجدي: فكل حرف باب. أما القسم الثاني فقد أطلق عليه إسم المقامات وفي كل مقام عشرة منازل. وهو كناية عن شرح للموضوع المطروق وتقليبه على عشرة معانٍ كفيلة في توضيح القصد.

وبعد فإننا نرجو أن نكون قد وفقنا في تحقيق هذا الكتاب الشامل بما يرضي الأصول من حيث الأمانة وبما يرضي القارىء والدارس من حيث القراءة والإستفادة.

المحقق

أديب نصر الدين

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق أوليائه وكشف لهم حياض جماله. ثم وفقهم وأولى لهم بحكم جلاله. وزكاهم وفلق صبح أنواره. وأطلع عليهم شمس أسراره. وأنجحهم وأتمّ لهم قمر حقايقه ومنّ عليهم وأسبغهم نعمائه وزيّن لهم كنز الهداية وحسن بهائه ووسّع لهم العطاء وخفي الطاقة. وهداهم سبل السّلام وطرائق قربه وقدّس أرواحهم وأعطى أنس عزائمه وفتح عليهم باب ذكره وأجلس على كرسي توحيده ورفع عنهم الحجب وجذبهم دار فردانيّته، وأنماهم وأزال ستور الجلال وناسوت ربوبيّته، وأنورهم وأسناهم وأدخل حصن جبروته، وخلّص أفكارهم وأدرج في ملكوته وصفّى أسرارهم، وأبلج علم لاهوته، وأفناهم وأفلج معالم عظمته ومشاهداته، وكرّمهم وكرس لهم حضرة حضراته وأبقاهم ثم أبقاهم ثم تجلي بسر ذاته، والصّلاة والسلام والتحيّات والبركات على أكمل موجوداته محمّد وعلى آله وأصحابه وأولاده وذريته وأنصاره وخدّامه وتبّاعه وأحبائه الذين نرثهم من أنواع علومهم ونستفيض بفيضهم، وبعد فيقول الفقير أضعف الورى أحمد ضياء الدين به مصطفى لما رأيت ضيّعوا أصول الطريق أردت أن أجمع نبذة من أصلهم وأوصافهم والأولياء

وأنواعهم وأصطلاحهم وأطوارهم وبعض أسرارهم وآدابهم ومسلكهم وشروطهم إجمالاً مستعيناً بالله. أما التفصيل:

فأما النقشبندية: فمذكور في الرشحات ومكتوبات الإمام الربّاني والنفحات والرسالة القدسية والتاجية والخادمي والخطاب لمحمد بارسا ومفتاح المعية.

وأما القادرية[1]: ففي بهجة الأسرار الغنية والقلائد والجواهر وفتوحات الغيب ونفحات القدس والمناقب والغوثية.

وأما الشاذلية: ففي المفاخر العلية والكواكب الزاهرة والمناقب والواردات.

وأما الرفاعية[2]: ففي بهجة الرفاعي والوصايا والمناقب.

وأما الأحمدية: ففي بهجة البدوي وشرح متن الغاية والوصايا.

وأما الدسوقّية: ففي الوصايا والمناقب.

وأما الأكبرية: ففي الفتوحات المكية وحلية والتدبيرات وحوض الحياة والمناقب والنصوص.

---

(١) في مدينة طرابلس ـ لبنان ـ يوجد بقايا من التكية القادرية ومنها لوحة فوق سبيل ماء تحمل كتابة بتاريخها وبعض النقوش وكتابتها هي:

تكية القادرية ... أسرارها مبديّة
قد أتحفت بالتجلي ... من فضل رب البرية
محمد قد بناها ... الفتقي سنيّة
أرّخه جاء بناه ... تكية القادرية

وفي طرابلس كذلك المدرسة القادرية المعروفة بالعقادين لاتزال قائمة في منطقة باب الحديد.

(٢) الرفاعية: وفي طرابلس ـ لبنان ـ مسجد يدعى مسجد الرفاعية أقيم على أنقاض المدرسة الرفاعية القديمة التي ترجع إلى عصر المماليك وهي منسوبة إلى الشيخ «سليمان الرفاعي». كذلك في طرابلس حي إسمه الرفاعية وفيه سبيل ماء وكذلك المدرسة الرفاعية المنسوبة إلى محمّد شريف الرفاعي وقد جددها عام ١٢٩٢ هـ.

وأما المولوية[٣]: ففي المثنوي والسواقب والمناقب وفيه ما فيه.

وأما الكبروّية: ففي فقرات نجم الدين والتأويلات والمناقب.

وأما السهروردية: ففي العوارف وتعرف علم التصوف.

وأما الخلوتية: ففي معيار العلوم وشرحه لعمر الفؤادي وترجمة الحال والمناقب.

وأما الجلويّة: ففي خطاب الحقي ومجالس أربعين والمسئلة[٤] والمناقب.

وأما البكداشية: ففي خطاب البيان والجاودات والمناقب.

وأما الغزالية: ففي الأحياء والمحبة والمناقب.

وأما الرّومية: ففي مزكيّ النفوس والمناقب.

وأما الشعرية والجيشتية والشعبانية والكلشنية والحمزوية والبيرامية والعشاقية والبكرية، والعمريّة، والعثمانية، والعلوية، والعباسية، والزينية، والعيسوية المغربية، والبحورية، والحداديّة، والغيبية، والخضرية، والشطارية، والبيومية، والملامية،والعيدروسية، والمتبولية، والسنبلية، والأويسية[٥]، وسائر الأكابر والأولياء، فمذكور في كواكب الدرية ونفحات الأنس وتذكرة الأولياء والقاشاني وطبقات الشعراني ونفحات القدسية ومنقبة الأولياء، وطبقات القاضي ذكريا، ورسالة القشيري وطبقات المشايخ ومقامات العارفين، وكتاب المنجلي، ولطائف الأعلام، واصطلاحات

---

(٣) المولوية: كان في طرابلس تكية هي التكية المولوية وكان يتبعها طاحونة تدعى طاحونة المولوية على نهر أبو علي. تهدمت التكية وكذلك الطاحونة بفعل فيضان عام ١٩٥٥ م.

(٤) هكذا في الأصل.

(٥) الأويسية: وفي طرابلس جامع يدعى جامع الأوَيسيّة يقال: إنه منسوب إلى محي الدين الأويسي الذي بناه سنة ٨٦٥هـ. ولعل «الأويسي» هذا كان أحد شيوخ الطريقة الأويسية التي انتشر اتباعها في دمشق وبعلبك وطرابلس. وخاصة في القرن العاشر للهجرة وهم يعتقدون أن الوالي إذا مات انقطع مدده وامتنعت كرامته واشتهر من شيوخ هذه الطريقة الصوفية «أويس الرومي». وكان من اتباع تلك الطريقة في طرابلس محمود بك السنجق صاحب الجامع المعروف باسمه.

الصوفية، وشمس اليوني، والمناهج، وكشف الواردات، ودرّة الموحدين، وحقايق الدقايق[٦]، وأسرار السرور، ومحاضرة الأبرار، والتجليات الإلهية، ووصايا القدسية، وكتاب الأسرى، والتمهيد، ومفتاح الغيب، ومصباح الأنس، والإنسان الكامل، ومنازل السائرين، ومدارج السالكين، وكشف الحقايق وحدايق الحقايق، وخالصة الحقايق، والميزان للشعراني، والتمييز، ومرآة الأصفياء، والوصايا الإلهية، وكشف الأسرار الأزلية، وحاوي الأرواح، ومقامات بدر الدين، وروضة الواصلين، وذبدة[٧] الحقايق.

(٦) في المقدمة لم تدخل في الكلمات المتضمنة الهمزة على الكرسي: «الحقائق» وتركناها كما هي.
(٧) ذبدة في الأصل وهي زبدة.

الفصل الأول:

تعريف القطب وسائر الأولياء

وأما تعريف القطب وسائر الأولياء فقالوا إن الأقطاب كثيرة فإن كل مقدم قوم هو قطبهم.

وأما القطب الغوث: الفرد الجامع فهو واحد وذلك أن نقباءهم ثلاثمائة وهم الذين استخرجوا خبايا النفوس ولهم عشرة أعمال: أربعة ظاهرة وستة باطنة.

فأما الأربعة الظاهرة: فكثرة العبادة، والتحقق بالزهادة، والتجرد عن الإرادة، وقوّة المجاهدة.

وأما الباطنة: فهو التوبة، والإنابة، والمحاسبة، والتفكير والإعتصام، والرياضة.

الفصل الثاني:

الأبدال والنجباء والأوتاد

١ ـ ثم النجباء: فأربعون وقيل سبعون وهم مشغولون بحمل أثقال الخلق فلا ينظرون إلاّ في الحق ولهم ثمانية أعمال: أربعة باطنة وأربعة ظاهرة.

فالظاهرة: فهو الفتوة والتواضع والآداب وكثرة العباد.

وأما الباطنة: فالصبر والرّضاء والشكر والحياء وهم أهل مكارم الأخلاق والعرفان.

٢ ـ ثم الأبدال[١]: فهم سبعة رجال وهم أهل فضل وكمال واستقامة واعتدال، قد تخلصوا من الوهم والخيال ولهم أعمال أربعة باطنة وأربعة ظاهرة.

فأما الظاهرة: فالصمت والسهر والجوع والعزلة، ولكل من هذه الأربعة ظاهر وباطن:

(١) جاء في شرح كلمة البدلاء للمؤلف في القسم الثاني الخاص بتفسير المصطلحات ما قوله: البدلاء: هم سبعة رجال يسافر أحدهم عن موضع ويترك جسداً على صورته فيه بحيث لايعرف أحد أنه فُقد، وذلك معنى البدل لا غيره وهم على قلب إبراهيم(عم).

أما الصمت: فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله وأما باطنه فصمت الضمير عن جميع التفاصيل والأخبار.

وأما السهر: فظاهره عدم النوم وأما باطنه فعدم الغفلة.

وأما الجوع: فظاهره جوع الأبرار لكمال السلوك وباطنه جوع المقربين لموارد الأنس.

وأما العزلة: فظاهره ترك المخالطة بالناس وباطنها ترك الأنس بهم.

ثم الأعمال الباطنة: فهي التجرّد والتفريد، والجمع والتوحيد، ومن خواص الأبدال من سافر من القوم من موضعه وترك جسداً على صورته فذلك هو البدل لا الغير. والبدل على قلب إبراهيم عليه السلام. وهؤلاء الأبدال لهم إمام مقدّم عليهم يأخذون عنه ويقتدون به وهو قطبهم وقيل الأبدال أربعون، وسبعة هم الأخيار وكل واحد له إمام منهم هو قطبه.

٣ ــ **ثم الأوتاد**: فهم عبارة عن أربعة رجال منازلهم منازل أربعة أركان من العالم: شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، ومقام كل واحد منهم تلك الجهة ولهم ثمانية أعمال:

أربعة ظاهرة وأربعة باطنة.

أما الظاهرة: فكثرة الصيام وقيام الليل والناس نيام وكثير الإمتثال، والإستغفار بالأسحار.

وأما الباطنة: فالتوكل والتفويض والثقة والتسليم ولهم واحد منهم هو قطبهم.

الفصل الثالث:

الإمامان والغوث والنقباء

٤ ـــ **ثم الإمامان** فهما شخصان أحدهما عن يمين القطب والآخر عن شماله. فالذي عن يمينه ينظر في الملكوت وهو أعلى من صاحبه وهو مرآة ما يتوّجه من المركز القطبي إلى العالم الروحاني من الامتدادات التي هي مادة الوجود والبقاء، وهذا مرآة لا محالة. فالذي عن شماله ينظر في الملك وهو مرآة ما يتوجه منه إلى المحسوسات من المادة الحيوانية، وهذا مرآة كذلك.

وصاحب اليمين: هو الذي يخلف ولهما أربعة أعمال باطنة وأربعة ظاهرة.

فأما الظاهرة: فالزهد، والورع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

وأما الباطنة: فالصدق والاخلاص والحياء والمراقبة.

٥ ـــ **ثم الغوث**: فهو عبارة عن قطب عظيم ورجل عزيز وسيد كريم تحتاج إليه الناس عند الإضطرار في تبيّن ما خفي من الأمور المهمة والأسرار ويُطلب منه الدعاء وهو مستجاب الدعاء، لو قسم

على الله لأبرّ في قَسَمِه مثل أويس القراني في زمان رسول الله (صلعم).

ولا يكون القطب قطباً حتى تجتمع فيه هذه الصفات التي اجتمعت في هؤلاء الذين تقدم ذكرهم.

إعلم أن القطب وقد يسمي له غوثاً باعتبار التجاء الملهوف إليه وهو عبارة عن الفرد الجامع الواحد الذي هو موضع نظر الله(تع) في كل زمان: أعطاه الطلسم الأعظم من لدنه وهو يسري في الكون وأعيان الباطنة والظاهرة سريان الروح في الجسد، بيده قسطاس الفيض الأعم، وزينة تتبع علمه، وعلمه يتبع علم الحق، وعلم الحق يتبع الماهيّات غير المجهولة، هو فيض روح الحياة على الكون الأعلى والأسفل، وهو على قلب أسرافيل (عم) من حيث حصة الملكية الحاملة مادة الحياة والإحساس لا من حيث انسانيته. وحكم جبريل (عم) فيه كحكم النفس الناطقة من النشأة الإنسانية، وحكم ميكائيل (عم) فيه كحكم القوة الجاذبة فيها، وحكم عزرائيل (عم) فيه كحكم القوة الدافعة فيها.

فالقطبية الكبرى هي مرتبة قطب الأقطاب وهي باطن نبوّة محمد (عم) فلا تكون إلاّ لورثته، لاختصاصه عليها بالاكملية فلا يكون خاتم الولاء وقطب الأقطاب إلاّ على باطن خاتم النبوّة.

قال بعض العارفين في طريق الشيخ الأكبر ولها ترقي: وهو أن يترقى فيها المريد من البدليّة إلى القطبية وذلك غاية ما يكون في العلو لأن قلب القاطب دائماً يطوف بحضرت[1] الحق كما يطوف الناس بالبيت الحرام، فهو يرى بقلبه الحق (تع) في كل وجهة ومن كل جهة كما يستقبل الناس بالبيت ويرونه إذ هو

(١) بحضرت: هكذا جاءت تاء طويلة.

ملتقى عن الحق جميع ما يقضيه على الخلق، وهو بجسده حيث ما أراد الله من الأرض، فأكمل البلاد البلد الحرام وأكمل البيوت البيت الحرام، وأكمل الخلق في كل عصر القطب.

فالبلد نظير جسده.

والبيت نظير قلبه.

فالأفراد هم الرجال الخارجون عنْ نظر القطب وهم الذين أكمل أهل الأرض.

فالأمناء: هم الملاميّه وهم الذين لم يظهرها في بواطنهم أثر على ظواهرهم وتلامذتهم في مقامات أهل الفتوّة.

قال صاحب العوارف: الملامّي هو الذي لا يظهر خيراً ولا يضمر شراً وذلك أن الملاميّ تشربت عروقه طعم الإخلاص والحب، وتحققت بالفتوة والصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله.

٦ ـــ **فالنقباء**: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس وتحققوا بإسم الباطن فأشرفوا على باطن الناس فاستخرجوا خفايا الضمائر لانكشاف الستائر لهم عن وجوه السرائر، وهم ثلاثة[٢] أقسام نفوس عارية وهي:

الحقايق[٣] الأمرية، ونفوس سفلية وهي الخلقية، ونفوس وسيطة وهي الحقايق الإنسانية.

وللحق (تع) في كل منها أمانة مطوية على أسرار إلهية وكونية وهم ثلاثمائة.

---

(٢) في الكتابة: ثلثة.

(٣) الحقايق: أي الحقائق.

الفصل الرابع:

مقام عبد القادر والشاذلي ومظاهر الأولياء

إعلم أن للأولياء أربع مقامات:

الأول: مقام خلافة النبوّة

والثاني: مقام خلافة الرسالة

والثالث: مقام خلافة أولي العزم

والرابع: مقام خلافة أولي الاصطفاء.

فمقام خلافة النبوّة للعلماء، ومقام خلافة الرسالة للأبدال ومقام خلافة أولي العزم للأوتاد ومقام خلافة أولي الاصطفاء للأقطاب.

فمن الأولياء من يقوم في عالم الأنبياء.

ومنهم من يقوم في عالم الرسالة

ومنهم من يقوم في عالم مقام أولي العزم

ومنهم من يقوم في عالم مقام الإصطفاء.

ومعنى الولي على الوجهين:

الأول: من ثبت له تصرّف ولاية على مصلحة دينية.

والثاني: ليس له ولاية التصرف بالفعل بل ثبت له تصرّف ولاية التصرف بالقوة.

فإن قيل كيف بكون ولياً من ليس له ولاية التصرّف. الجواب يجوز أن يكون ولياً على معنى: أن الله تعالى قد تولى وتصرّف بجميع أموره، وهذا الوالي ولي بالقوة: إنْ سَمِعَ فبالحق يسمع. وإن أبصر فبالحق يُبصر وإن نطق فبالحق ينطق

فهو عالم المحبوبية، وإلى هذا أشار بقوله تعالى ﴿كنت له سمعاً وبصراً﴾[1]، وهذا الولي لا يصلح أن يكون مربياً للخلق لأنه في قبضته تعالى مسلوب الإختيار عن نفسه فلا يصلح أن يكون مربياً للغير لأن التصرف في غيره يستدعي ولاية التصرف في نفسه.

وهذا الوالي مجذوب في نفسه، مسلوب التصرف في نفسه، فكان مسلوب التصرف في غيره ألاّ يرى في عرف الشرع أن من ثبتت له الولاية على نفسه ثبتت له الولاية على غيره، ومن لا فلا، فالفاعل البالغ لمّا ثُبتت له الولاية على نفسه ثُبتت له الولاية على غيره:

والطفل والصبي والمجنون لمّا لم تثبت له الولاية على نفسه لم تثبت الولاية على غيره.

المجذوب هو في قبضته تعالى بمنزلة الصبي الرّضيع، تتصرف فيه يد القدرة كتصرف الوالدة بولدها، فهو في حجر تربية المحبوبية، يرضع بلبن كرم الربوبية، وهم أطفال، ويقول فيهم قد يربون في حجر تربية إرادتنا، يرضعون بلبن كرمنا.

(١) ٢٦/٤٦. سورة الأحقاف/٢٦: والآية بكاملها تقول ﴿ولقد مكناهم فيما أن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم، كانوا به يستهزءون﴾.

فأما الوالي السالك يصلح أن يكون مربياً، فهو تام التصرف والتدبير على نفسه وغيره، وهذا ولي بالفعل، لأنه بمنزلة البالغ الذي تثبت له الولاية على نفسه، ومن له الولاية على نفسه جاز له الولاية على غيره، وإذ جاز ذلك في عرف الشرع، جاز في عرف الحقيقة، فإن الحقيقة على وزن الشريعة والتفرقة بينهما كفر، فمثال المجذوب في مقام المحبوبية كمثل من سلك به طريق مشدود العين، فهو لا يرى موضع قدمه ولا يدري أين يذهب. فإن هذا الرجل إذ قطع ووصل مراده وسأل عن منزلة من المنازل لم يكن عنده علم ولا خبر، وكما أن هذا الرجل لا يصلح أن يكون دليلاً في البادية فكذلك المجذوب لا يصلح أن يكون دليلاً في طريق الآخرة.

إعلم أن لكل من الأولياء خصوصية وهمة في الحياة والمماة كنقش الحقيقة:

- الإلقاء في بحر الوحدة والفناء والإستغراق لشاه نقشبندي محمد بهاء الدين.
- قوة التصرف والإمداد لعبد القادر الجيلاني.
- وقوة العلم والواردات لعلي أبي الحسن الشاذلي(٢).
- والخارق للسعادة والفتوة لحضرة أحمد الرفاعي
- والترحم والتعطف للسيد أحمد البدوي
- والسخاء والكرامة لإبراهيم دسوقي

(٢) جاء في كتاب لطائف المتن للشيخ الإمام ابن عطاء الله السكندري المتوفى بالقاهرة سنة سبعمائة وتسع، وهو تقي الدين أبو الحسن بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعرف بالشاذلي.

- والعرفان والإكمال للشيخ الأكبر
- والمحبة والعشق لمحمد جلال الدين الرومي
- والغيبة والمحق للإمام السهروردي
- والرياضة والأوّاه للشيخ خضر يحيى
- والوجد والجذبات لنجم الدين الكبري

وإن ثبتت هذه الخصلة نوعاً لكل الأولياء إلاّ أنها خصوص وغاية مقام لهذه[٣] العارفين، ولكل قوم بما لديهم فرحين.

بصور السقاية[٤] عند الأولياء

قال القريشي رأيت أربعة من المشايخ يتصرفون في قبورهم كتصرف الأحياء: الشيخ عبد القادر والشيخ معروف الكرخي والشيخ عقيل المنجي والشيخ حياة بن قيس الحراني وقالوا[٥] كبار الأولياء ما عدا هذه.

وبعد القرون الثلاثة[٦]: الجنيد البغدادي والبايزيد البسطامي، وإمام شبلي، وشمس الدين البرزي، وداود الطائي، وإبراهيم بن أدهم، وأبو الحارث، وسري السقطي، وإمام الحرمين وأبو مدين وعيد السلام وأبو العباس، والسمنون، والسهل، والحارث، وإبراهيم الخواص، وإبن العطاء، والحلاج، والشيباني، وأبو بكر زقاق، والرازي، والشعراني، والكُشَيري، ومحمد الخفاف، وأبو الفضل،

(٣) والأصح لهؤلاء.
(٤) العنوان للمحقق
(٥) والصحيح: وقال كبار الأولياء
(٦) في الأصل «الثلث»

ويوسف الهمذاني، وركن الدين، ورضي الدين، وفخر الدين، وظهير الدين، وبدر الدين وصدر الدين، ونظام الدين وسيف الدين، واق شمس الدين، والرملي، والقاضي[٧] زكريا، والبرزنجي والأوزاعي، وأبو الليث، وشيخ الإسلام، والكرماني، والقسطلاني، والسيوطي، والخطيب، والديلمي، والبيهقي، والسكاكي، والسبكي، والمنّاوي، والجرجاني.

هذه مشهور وغيرها كثير-ومفضل وألوف ولا تُعرف[٨] قال تعالى: ﴿أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري﴾.

وقال شمس الدين الحنفي إن الله قد أطلعني على مقام عبد القادر وعلى مقام أبي الحسن الشاذلي فوجدت مقام أبي الحسن الشاذلي أعلى من مقام عبد القادر. قال وذلك لأن سيدنا عبد القادر سئل يوماً فقيل له يا سيدي من شيخك؟

فقال: أما فيما مضى فكان سيدي حماد الدباسي وأما الآن فأنا أستقي من بحرين:

بحر النبوّة، (يعني ببحر النبوة النبيّ عليه السلام)

وبحر الفتوّة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقال: سئل سيد أبي الحسن الشاذلي فقيل من شيخك؟

فقال: أما فيما مضى فكان سيدي عبد السلام إبن مشيش وأما الآن فأنا أستقي من عشرة أبحر: خمسة سماوية وخمسة عرضية[٩].

---

(٧) في الأصل وقاضي
(٨) والصحيح هؤلاء هم المشهورون، وغيرهم كُثر مفضّلون وأُلوف غير معروفة
(٩) هكذا في الأصل والصحيح أرضية

أما السماوية: فجبريل، وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والرّوح وأما الأرضية: فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي والنبي عليه السلام. وقال أبو العباس المرسي جلتُ في ملكوت الله فرأيت أبا مدين متعلقاً بساق العرش. فقلت له ما علومك وما مقامك. فقال: أما علومي فواحد وسبعون علماً، وأما مقامي فرابع الخلفاء ورأس السبعة الأبدال.

قلت فما تقول في سيدي الشاذلي.

فقال: زاد عليّ بأربعين علماً، هو البحر الذي لا يحاط به.

وقال المحققون: مقام عبد القادر أعلى. والله أعلم بمقامهم ومناصبهم وأحوالهم وأعدادهم.

مظاهر الأولياء ومراتبهم

وأما مظاهر الأولياء ومراتبهم في جميع الأسماء الإلهية فهكذا:

عبد الله: هو العبد الذي تجلى له الحق بجميع أسمائه فلا يكون في عباده أرفع مقاماً وأعلى شأناً منه لتحققه بأسمه الأعظم واتصافه بجميع صفاته ولذا خصّ نبيّنا(صلعم) بهذا الإسم في قوله تعالى: ﴿وإنه لمّا قام عبد الله يدعوه﴾(١٠). فلم يكن هذا الإسم إلاّ له وللأقطاب من ورثته وتبعيته وإن أطلق على غيره مجازاً لاتصاف كل إسم من أسمائه جميعها بحكم الواحدية. واحدية جميع الأسماء.

عبد الرحمٰن: هو مظهر إسم الرحمٰن. فهو رحمة للعالمين

(١٠) ١٩/٧٢. سورة الجن الآية ١٩. وتقول: وإنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً.

جميعاً بحيث لا يخرج أحد من رحمته بحسب قابلية استعداده.

عبد الرحيم: هو مظهر إسم الرحيم وهو الذي يخص رحمته بما اتقى وأصلح ورضى الله عنه وينتقم من غضب الله عليه.

عبد الملك: هو الذي يملك نفسه وغيره بالتصرف فيه بما شاء الله وأمره به فهو أشد خلق الله لى خليقته.

عبد القدّوس: هو الذي قدّسه الله عن الإحتجاب فلا يسمع قلبه غير الله وهو الذي وسّع قلبه الحق كما قال: لا يسعني أرضي ولاسمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن، ومن وسع الحق قُدّس عن الغير إذ لا يبقى عن تجلي الحق شيء غيره، فلا يسع القدوس إلاّ القلب المقدس من الأكوان.

عبد السلام: هو الذي تجلى له بإسم السّلام فسلّمه عن كل نقص وآفة وعيب.

عبد المؤمن: هو الذي أمنه الله عن العقاب والبلاء وأمنه الناس عن ذواتهم وأموالهم وأعراضهم.

عبد المهيمن: هو الذي يشاهد كون الحق رقيباً شهيداً على كل شيء فهو يرقب نفسه وغيره بإيفاء حق كل ذي حق لكونه مظهراً إسم المهيمن.

عبد العزيز: هو الذي أعزّه الله بتجلي عزّته فلا يغلبه شيء من أيدي الحدثات والأكوان وهو يغلب.

عبد الجبّار: هو الذي يجبر كسر كل شيء ونقصه، لأن الحق جبر حاله وجعله يتجلى، هذا الإسم جابراً لحال كل شيء مستعلياً عليه.

عبد المتكبر: هو الذي فنى تكبره بتذلّله للحق حتى قام كبرياء الله مقام كبره فتكبّر بالحق على ما سواه فلا يتذلّل للغير.

عبد الخالق: هو يقدّر الأشياء على مراد الحق لتجليه له بوصف الخلق والتقدير فلا يقدّر إلا بتقديره تعالى.

عبد الباريء: هو قريب من عبد الخالق وهو الذي يرى علمه من التفاوت والاختلاف فلا يفعل إلاّ ما ناب حضرة الإسم الباري متعادلاً متناسباً بريّاً من التنافر كقوله تعالى ﴿ما ترى في خلق الرحمٰن من تفاوت﴾(١١). لأن الباري الذي تجلى له شعبة من شعب الأسماء التي تحت إسم الرحمٰن.

عبد المصوّر: وهو الذي لا يتعرف إلا ما طابق الحق ووافق تصويره لأن فعله يصدر عن مصوّريته تعالى.

عبد الغفّار: هو الذي غفر جناية كلّ من يجني عليه، وستر عن غيره ما أحب أن يستر منه لأن الله تعالى ستر ذنوبه وغفر له بتجلي غفاريته فيعامل عباده بما عامله به.

عبد القهّار: هو الذي وفقّه الله بتأييده لقهر قوى نفسه فتجلّى له بإسمه القهّار، فيقهر كلّ من ناداه، ويهزم تكل من بارزه وعاداه، ويؤثر في الأكوان ولا يتأثر منها.

عبد الوهّاب: هو من تجلّى له الحق بإسمه الجواد فيهب لمن ينبغي على الوجه الذي ينبغي بلا عوض ولا غرض ويمد أهل عنايته تعالى بالأمداد لأنه واسطة جوده ومظهره.

عبد الرزّاق: هو الذي وسع الله رزقه فيؤثر به على عباده،

---

(١١) ٣/٦٧. سورة الملك، الآية ٣ وتقول: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت فأرجِعِ البصرَ هل ترى من فطور﴾.

ويبسط لمن يشاء الله أن يبسط له، لأن الله جعل في قوته السعة والبركة فلا يأتي إلاّ حيث تبارك فيه ويفيض الخير به.

عبد الفتّاح: هو الذي أعطاه الله علم أسرار الفاتح على اختلاف أنواعها ففتح به الخصومات والمغالق والعضلات والمضايق، وأرسل به فتوحات الرحمة وما أمسك من النعمة.

عبد العليم: هو الذي علّمه الله العلم الكشفي من لدنه بلا تعلم وتفكر بل بمجرّد الصفاء الفطري وتأييد النور القدسي.

عبد القاضي: هو من قبضه الله إليه فجعله: قابضاً لنفسه وغيره عما لا يليق بهم ولا ينبغي أن يقبض عليهم في حكم الله وعدله وحاجزاً عن العباد ما ليس يصلح وهم ينقبضون بقبضه وحجزه.

عبد الباسط: هو من بسطه الله في خلقه تعالى فيرسل عليهم بإذنه من نفسه وماله ما يفرحون به ويبسطون موافقاً لأمره، لأنه يبسطه بتجلّي إسم الباطن فلا يكون مخالفاً لشرعه.

عبد الخافض: هو الذي يتذلّل له في كل شيء ويخفض عن نفسه لرؤية الحق فيه.

عبد الرافع: هو الذي يترفّع عن كل شيء لنظره إليه بنظر التسوي والغير ورفع نفسه عن رتبته لقيامه بالحق الذي هو رفيع الدرجات، وقد يكون بالعكس لأنه الأول بمظهرية الإسم الخافض، وهو الذي يخفض كلّ شيء لرؤيته عدماً محضاً ولا شيء صرفاً، والثاني لتجلي إسم الرافع له الذي يرفع كل شيء لرؤيته الحق فيه، وهذا عندي أولى لأن المتعارف يطلب الرحمة ليتصف بها فيصير رحيماً لا مرحوماً فذلك نصيب العامي من الرحمة.

عبد المعزّ: هو من تجلّى له الحق باسمه المعز، فيعز من أعزّه الله بعزّته من أوليائه.

عبد المذل: هو مظهر صفة الإذلال، ليذل بمذلية الحق كلّ من أذلّه الله من أعدائه باسمه المذل الذي تجلّى به له.

عبد السميع وعبد البصير: هما من تجلّى بهذين الإسمين فاتصف بسمع الحق وبصره، كما قال: كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر، فيبصر ويسمع الأشياء بسمع الحق وبصره.

عبد الحكيم: هو الذي يحكم بحكم الله على عباده.

عبد العدل: هو الذي يعدل من الناس بالحق لأنه مظهر عدله تعالى، وليس العدل هو التساوي كما يظن من لا يعلم، بل توفية حق كل ذي حق وتوفيره عليه بحسب استحقاقه.

عبد اللطيف: هو من يلطف بعباده لكونه بصيراً بموقع اللطف، للطف إدراكه فيكون مطّلعاً على البواطن، وواسطة للطف الحق بعباده وإمدادهم وهم لا يشعرون به، للطفه يتجلّى الإسم اللطيف فيه وهو الذي لا تدركه الأبصار.

عبد الخبير: هو الذي أطلعه الله على علمه بالأشياء قبل كونها وبعده.

عبد الحليم: هو الذي لا يعاجل من يجني عليه بالعقوبة ويحلم عليه ويتحمل أذية من يؤذيه وسفاهة السّفهاء، ويدفع السيئة بالتي هي أحسن.

عبد العظيم: هو الذي تجلى الحق له بعظمته فيتذلّل له وغاية التذلّل أداء لحق عظمته، فعظمة الله تعالى في أعين عباده، ورفع ذكره بين الناس يجلّونه ويوقرونه لظهور آثار العظمة على ظاهره.

عبد الغفور: هو من أبلغ في غفران الجناية وسترها من عبد الغفور، وهو دائم الغفران، وعبد الغفار كثير الغفران.

عبد الشكور: هو دائم الشكر لربه لأنه لا يرى النعمة إلاّ منه ولا يرى منه إلاّ النعمة وإن كانت في صورة البلاء والنقمة، ولا يرى باطنة النقمة كما قال علي رضي سبحانه: من اشتدت نقمته لأعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لأوليائه في شدة نقمته.

عبد العلي: هو من علا قدره عن أقرانه وارتفعت همته في طلب المعالي عن همم أخوانه وجاز كل رتبة عليّة وبلغ بكبرياء الحق وزاد بكبره في الفضل والكمال على الخلق.

عبد الحفيظ: هو الذي حفظه الله في أفعاله وأقواله وأحواله وخواطره وظواهره وبواطنه عن كلّ سوء فتجلّى فيه بإسمه الحفيظ حتى سرى الحفظ منه في جلسائه كما يحكى عن سليمان الداراني أنه لم يخطر بباله خطرة سوء ثلاثين سنة ولا يبال جليسه ما دام جالساً معه.

عبد المقيت: هو من أطلعه الله على حاجة المحتاج وقدرها ووقتها، ووفقه لإنجاحها على وفق علمه من غير زيادة ولا نقصان ولا تقدم على وقتها ولا تأخر عنه.

عبد الحسيب: هو من جعله الله حسيباً لنفسه حتى في أنفاسه، ووفقه للقيام عليها وعلى كل من تابعه بالحسبة.

عبد الجليل: هو من أجلّه الله بجلاء له حتى هابه كل شيء رآه بجلال قدره، ووقع في قلبه الهيبة منه.

عبد الكريم: هو الذي أشهد الله وجه إسمه الكريم فتجلى له بالكرم، وتحقق بحقيقة العبودية بمقتضاها، فإن الكرم يقتضي معرفة

قدره وعدم التعدي عن طوره، فيعرف أن لا ملك للعبد، فلا يجد شيئاً ينسب إليه إلاّ ويجود به على عباده بكرمه تعالى، فإن كرم مولاه يختص بملكه من يشأ، وكذا لا يرى ذنباً من أحد إلاّ وهو ستر عليه، ولا يجني أحد عليه إلاّ وهو يغفر عنه ويقابله بأكرم الخصال وأجمل الفعال.

قيل: لما سمع عمر رضي الله عنه قوله تعالى: ما غرّك بربك الكريم. قال: كرمك يا ربّ.

وقال محي الدين بن العربي: هذا من باب تلقين الحجة، وفي الجملة لا يرى لذنوب جميع عباده في جنب كرمه تعالى وزناً ولا يرى جميع نعمه عند فيض كرمه قدراً، فيكون أكرم الناس لصدور فعله عن كرم ربّه الذي تجلّى له ربّه وقسا عليه.

عبد الجواد: فإنه مظهر اسمه الجواد وواسطة جوده على عباده فلا يكون أجود منه في الخلق وكيف لا وهو جاء بنفسه لمحبوبه فلايتعلق بقلبه ما عداه.

عبد الرقيب: هو الذي يرى رقْبَهُ(١٢) أقرب إليه من نفسه إدراكاً لقيامها وذهابها في تجلّي الإسم الرقيب فلا تجاوز حداً من حدود الله تعالى ولا حداً أشدّ مراعاة لها منه لنفسه، ولما يحضره من أصحابه فإنه يرقبهم برقبة الله تعالى.

عبد المجيب: هو الذي أجاب دعوة الحق وأطاعه حين سمع قوله: أجيبوا داعي الله فأجاب الله دعوته حتى تجلّى بإسمه المجيب، فيجيب كل من دعاه من عباده إلى حاجاته لأنه من جملة الإستجابة التي أوجبت عليه لإجابته تعالى في قوله: ﴿وإذا سألك

(١٢) والمقصود مراقبته.

عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ فليستجيبوا إليّ﴾[١٣].

لأنه يرى دعاهم دعاه بحكم والتوحيد للإيمان الشهودي في قوله وليؤمنوا.

عبد الواسع: هو الذي وسّع كل شيء فضلاً وطولاً ولا يسعه شيء لإحاطته بجميع المراتب فلا يرى مستحقاً إلاّ اعطاه من فضله.

عبد الحكيم: هو الذي يضره بمواقع الحكمة في الأشياء ووفقاً للسداد في القول والصواب، فلا يرى خللاً في شيء إلا يسدّه،ولا فساداً إلا يصلحه.

عبد الودود: هو من كملت مودّته للّه ولأوليائه جميعاً، فأحبه اللّه وألقى محبته على جميع خلقه، فأحبه الكل إلاّ جهال الثقلين.

قال النبيّ (صلعم): إن اللّه تعالى إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادى في السماء فيقول إن اللّه يحبّ فلانا فأحبّوه، فأحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول.

عبد المجيد: وهو الذي مجّده اللّه بين الناس بإكمال أخلاقه وصفاته وتحققه بأخلاق اللّه فيمجدونه لفضله وحسن خلقه.

عبد الباعث: هو من أحيا اللّه قلبه بالحياة الحقيقية بعد موته الإرادي عن صفات النفس وشهواتها وأهوائها، وجعله مظهراً لإسمه الباعث، فهو يحيي موتى الجهل بالعلم ويبعثهم على طلب الحقّ.

(١٣) ٢/١٨٦. سورة البقرة، الآية ١٨٦. وتتمتها: ﴿وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾.

عبد الشهيد: هو الذي يشهد الحق شهيداً على كل شيء فيشهده في نفسه وفي غيره من خلقه.

عبد الحق: هو الذي تجلى له الحق فعصمه في أفعاله وأقواله عن الباطل يرى الحق في كل شيء لأنه الثابت الواجب، القائم بذاته، والمسمى بالسوي باطل زائل ثابت، بل يراه في صور الحق حقاً والباطل باطلاً[١٤].

عبد الوكيل: هو من يرى الحق في صور أسبابه فاعلاً بجميع الأفعال التي منها المحجوبون إليها، فيعطل الأسباب، ويكل الأمور الى من توكلنا منه ويرضى به وكيلاً.

عبد القوي: هو الذي يقوى بقوة الله على قهر الشيطان وجنوده التي هي قوة نفسه من الغضب والشهوة والهوى، ثم على قهر أعدائه من شياطين الأنس والجن فلا يقاومه شيء من خلق الله إلاّ وقهره، ولا يناديه أحد إلاّ غلبه.

عبد المتين: هو الصلب في دينه الذي لم يتأثر عمن أراد إغوائه ولم يكن لمن ذلّه عن الحق بشدّته لكونه أمتن كل متين، فعبد القوي هو المؤثر في كل شيء، وعبد المتين هو الذي لم يتأثر عن شيء.

عبد الولي: هو من يتولاه من الصالحين والمؤمنين فإن الله تعالى يقول وهو يتولى الصالحين: الله ولي الذين آمنوا فهو يتولى بولائه الله أوليائه من المؤمنين والصالحين.

عبد الحميد: هو الذي يتجلّى له الحق بأوصافه الحميدة فيحمده الناس وهو لا يحمد إلاّ الله.

---

(١٤) والمقصود من الجملة: فيرى الحق في كل شيء لأن الحق ثابت واجب، قائم بذاته ويسمى بالسوي. كذلك فإن الباطل ثابت الزوال.

عبد المحصي: هو الذي أطلعه الله على إحصاء كل شيء: عدد أو إحاطة بكل شيء علماً، فهو يحصي المعلومات ويحيط الموجودات إجمالاً وتفصيلاً، فيحاسب نفسه ويحصي أقواله وأفعاله.

عبد المبديء: هو الذي أطلعه الله على بدائه فبشهد إبتداء الخلق والأمر فيبدى بإذنه ما يدي من الخيرات.

عبد المعيد: هو الذي أطلعه الله على إعادته الخلق، والأمور كلها إليه، فيعيد بإذنه ما يجب إعادته إليه ويشهد عاقبته ومعاده في العاقبة والسعادة على أحسن ما يكون.

عبد المحيي: هو الذي تجلى له الحق بإسمه المحيي فأحيا قلبه به وقدره على إحياء الموتى كعيسى عليه السلام.

عبد المميت: هو من أمات الله من نفسه هواه وغضبه وشهوته، محيي قلبه وتنوّر عقله بحياة الحق ونوره حتى أثر في غيره بإماتة قوى نفسه أو نفسه بالهمة المتأثرة من الله بتلك الصفة التي تجلى له بها.

عبد الحي: هو من تجلّى له الحق بحياته السرمدية فحيي بحياته الديمومة.

عبد القيوم: هو الذي شهد قيام الأشياء بالحق فتجلّت قيامته له فصار قائماً بمصالح الخلق، قيماً بالله، مقيماً لأوامره، خلعة بقيوميته، ممداً لهم فيما يقومون من معايشهم ومصالحهم وحياتهم.

عبد الواجد: هو الذي خصّه الله بالوجود في عين الجمع الأحدية، فوجد الواجد الموجود بوجوب الوجود الأحدي، فاستغني به عن الكل لأنه الفائز به بالكل فلا يفقد شيئاً ولا يطلب شيئاً.

عبد الماجد: هو الذي شرّفه الله بأوصافه وأعطاه ما استعدّه وأطاق تحمّله من مجده وشرفه كعبد المجيد.

عبد الواحد: هو الذي بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن أحدية جميع أسمائه، فيدرك ما يدرك، ويفعل ما يفعل بأسمائه، ويشاهد وجوده بأسمائه الحسن، فهو وحيد الوقت صاحب الزمان الذي له القطبية الكبرى بالأحدية الأولى.

عبد الصمد: هو مظهر الصمدية الذي نصمد إليه لدفع البليات، واتصال أمداد الخيرات، ويستشفع إلى الله لرفع العذاب وإعطاء الثواب، وهو محل نظر الله إلى العالم في ربوبيته له.

عبد القادر: هو الذي شاهد قدرة الله في جميع المقدورات بتجلي الإسم القادر له، فهو صورة اليد الإلهي الذي به يبطش، فلا يمنع عليه شيء، ويشاهد مؤثرية الله تعالى في الكل ودوام اتصال مدد الوجود إلى المعدومات مع عدميتها بذواتها، فيرى نفسه معدومة بذاتها مع كونها مؤثرة بقدرة الله في الأشياء، وكذا عبد المقتدر لكنه يشهد مبدأ الإيجاد وحاله.

عبد المقدم: هو الذي قدّمه وجعله من أهل الصف الأول، فيقدم بتجلي هذا الإسم له كل من يستحق التقديم بإسمه وكل ما يجب من الأفعال.

عبد المؤخر: هو الذي أخّره الله عن ما عليه كل مفرط مجاوز عن حدوده تعالى بالطغيان فهو يؤخر بهذ الإسم كل طاغ عاد، ويرده الى حده، ويردعه عن التعدي والطغيان وكذا كل ما يجب تأخيره من الأفعال، وقد يجمعها الله لاقوام.

عبد الأول: هو الذي يشاهد أولية الحق على كل شيء وأزليته، فيكون هو الأول بتحقيقه بهذا الإسم على الكل في مقامات

المسابقة إلى الطاعات والمسارعة إلى الخيرات، وعلى من وقف مع الخليقة لتحققه بالأزلية، والخلقية موسومة بسمة الحدوث.

عبد الآخر: هو الذي شهد أخريته تعالى وبقائه بعد فناء الخلق في تحقيق معنى قوله ﴿كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[١٥]. لطلوع الوجه الباقي عليه فيبقى ببقائه وآمن بلقائه، وقد يتصف بهما بعض أوليائه، بل أكثرهم.

عبد الظاهر: هو الذي ظهر له الإطاعات والخيرات حتى كشف له الله عن إسمه الظاهر فعرفه بأنه الظاهر، واتصف بظاهريته فيدعو الناس إلى الكمالات الظاهرة والتزين بها ورجح التشبيه على التنزيه كما كانت دعوة موسى عليه السلام ولهذا أوعدهم الجنان والملاذ الجسمانية وعظم التورية بالحجم الكبير وكتابتها بالذهب.

عبد الباطن: هو الذي بالغ في المعلومات القلبية وأخلص لله وقدّس الله سرّه فتجلّى له بإسمه الباطن حتى غلبت روحانيته وأشرف على البواطن وأخبر عن المغيبات فيدع الناس إلى الكمالات المعنوية والتقدس، وتطهير السر، ورجح التنزيه على التشبيه كما كانت دعوة آدم عليه السلام إلى السماوات والروحانيات وعالم الغيب والتقشّف في الملبس، والإعتزال والخلوة.

عبد الوالي: هو من جعله الله والياً للناس للظهور في مظهره بإسمه الوالي، فهو يلي نفسه وغيره بالسياسة الإلهية، ويقيم عدله في عباده يدعوهم الخير ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر،

---

(١٥) ٥٥/٢٦ و٥٥/٢٧.

فأكرمه الله تعالى وجعله أول السبعة الذين يظلهم في ظل عرشه وهو السلطان العادل ظل الله في أرضه، أثقل الناس ميزاناً، لأن حسنات الرعايا وخيراتهم توضع في ميزانه من غير أن تنقص من أجورهم شيئاً، إذ به أقام دينه فيهم وحملهم على الخيرات، فهو يده وناصره والله مؤيده وناصره وحافظه.

عبد المتعالي: هو المتابع في العلو، من إدراك الغير وعبده الذي هو مظهره، من لا يقف بكل كمال وعلو حصل له، بل يطلب بهمته العالية الترقّي إلى أعلى منه، لأنه شهد العلو الحقيقي المطلق المقدس عن علو المكان والمكانة وعن كل تقييد، فلا يزال يطلب العلو في جميع الكمالات، ألا ترى أكرم الخلايق وأعلاهم رتبة كيف خوطب بقوله تعالى: ﴿وقل ربِ زدني علماً﴾.

عبد البر: هو من اتصف بجميع أنواع البر معنى وصورة فلا يجد نوعاً من أنواع البر إلاّ أتاه، ولا فضلاً إلاّ أعطاه، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر.

عبد التواب: هو الرجّاع إلى الله دائماً عن نفسه وجميع ما سوّى الحق حتى شهد التوحيد الحقيقي وقَبِل التوبة بكل ما تاب إلى الله عن جريمته.

عبد المنتقم: هو الذي بالغ في العقوبة على أعدائه تعالى ولا يحمد من العبد إلا إذا كان إنتقامه لله تعالى، وأحق الأعداء نفسه فينتقم منها مهما ارتكبت معصية، أو ترك طاعة، بأن يكلفها خلاف ما حملها عليه، وينتقم لله ولدينه ما استطاع من كل فاجر وفاسق.

عبد العفو: هو من أقامه الله تعالى لإقامة حدوده، بل لا يجني عليه أحد إلاّ عفاه. قال النبي عليه السلام: إن الله عفو محب

العفو. وقال: حوسب رجل ممن كان قبلكم فلا يوجد له من الخير شيء إلاّ أنه كان موسراً وكان يأمر غلمانه بالتجاوز عن المعسر.

قال الله تعالى ﴿نحن أحق بالتجاوز منه فتجاوز عنه﴾.

عبد الرؤوف: هو من جعله الله مظهراً لرأفته ورحمته، فهو أرأف خلق الله بالناس إلاّ في حدود الشرعية، فإنه يرى الحد وما أوجبه عليه من الذنب الذي أجرى الله على يده بحكم الله وقضائه رحمة منه عليه وإن كانت ظاهرة نقمة، وهذا عما لا يعرفه إلاّ خاصة الخاصة بالذوق، فإقامة الحد ظاهراً عين الرأفة به باطناً.

عبد مالك الملك: هو من شهد مالكيته تعالى فرأى نفسه ملكاً له، خالصاً من جملة ملكه فتحقق بعبوديته حتى اشتغل بعبوديته لمولاه عما ملكه إياه وعن كل شيء فجازاه الله بجعله مظهر المالك الملك، إذ لا يملكه حتى شغله عن ربّه وكان حراً عن رق الكون مالكاً للأشياء بالله لا بنفسه فإنه عبد حقاً.

عبد ذي الجلال والإكرام: هو من أجلّه الله وأكرمه لاتصافه بصفاته، وتحققه بأسمائه، وكما تقدّست أسماؤه وعزّت وتنزّهت وجلّت فكذلك مظاهرها ورسومها فلا يرى أحد من أعدائه إلاّ هابه وخضع له بجلالة قدره، ولا أحد من أوليائه إلاّ أكرمه وأعزّه لإكرام الله إياه وهو يكرم أوليائه تعالى ويهين أعداءه.

عبد المقسط: هو أقوم الناس بالعدل حتى يأخذ من نفسه لغيره حقاً لا يشعر به ولا يعرفه ذلك الغير لأنه يعدل بعدل الله الذي تجلّى له به فتوفي كل ذي حق حقه، ويزيل كل جور يطلع عليه، فهو على كرسي النور يخفض من يحب خفضه ويرفع من يحب رفعه كما قال عليه السلام: المقسطون على منابر من نور.

عبد الجامع: هو الذي جمع الله فيه جميع أسمائه وجعله

مظهراً للجامعية فجمع بالجمعية الإلهية كل تفرقة وتشتت من نفسه وغيره.

عبد الغني: هو الذي أغناه الله من جميع الخلايق وأعطاه كل ما احتاج إليه من غير مساءلة منه إلاّ بلسان الإستعداد لتحققه بفقره الذاتي وافتقاره إليه بجوامع همه.

عبد المغني: هو الذي جعله الله بعد كمال الغنى مغنياً للحق بايحاج حوايجهم وسدّ خلالهم بهمته التي أمدّها الله من أغنيائه بتجلّي إسمه المغني فيه.

عبد المانع: هو الذي حماه الله ومنعه من كل ما فيه خيره كالمال والجاه والصحة وأمثالها، وأشهده معنى قوله تعالى ﴿عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرّ لكم﴾. وقد جاء في الكلمات القدسية أن من عبادي من أفقرته ولو أغنيته لكان شراً له، وإن من عبادي من أمرضته ولو عافيته لكان شراً له، وأنا أعلم بمصالح عبادي، أدبّرهم كما أشاء، ومن تحقق بهذا الإسم منع أصحابه عما يضرهم ويفسدهم ومنع به الله الفساد حيث أتى، ولو حسبوا فيما منعوه خيرهم وصلاحهم.

عبد الضار والنافع: هو الذي أشهد الّله كونه فعّالاً لما يريد وكشف له عن توحيد الأفعال، فلا يرى ضرّا ولا نفعاً ولا خيراً ولا شراً إلاّ منه، فإذا تحقق بهذين الإسمين وصار مظهراً لهما كان ضاراً نافعاً للناس بربه وقد خصّ الله تعالى بعض عباده بأحدهما، فقد جعل بعضهم مظهراً لضرّ كالشيطان ومن تابعه وبعضهم مظهراً لنفع كالخضر (عم) ومن تابعه.

عبد النور: هو الذي تجلّى بإسمه النور فتجهّد معنى قوله: الله نور السموات والأرض. والنور هو الظاهر الذي يظهر به كل شيء

كوناً وعلماً. فهو نوره في العالمين كما قال عليه السلام: اللهم اجعلني نوراً.

عبد الهادي: هو مظهر هذا الإسم جعله هادياً لخلق الله، ناطقاً عن الحق بالصدق مبلغاً ما أمره به وأنزل إليه كالنبي (صلعم) بأصالة وورثته بالتبعية.

عبد البديع: هو الذي شهد كونه تعالى بديعاً في ذاته وصفاته وأفعاله وجعله الله مظهراً لهذا الإسم فيبدع ما عجز عنه غيره منه.

عبد الباقي: هو من أشهده الله بقأ وجعله باقياً ببقائه عند فناء الكل يعبده به بالعبودية المحضة اللازمة لتعينه، فهو العابد والمعبود تفضيلاً وجمعاً وتعيناً وحقيقة، إذ لم يبقَ رسمه وأثره عند تجلّي الوجه الباقي كما قال في الحديث القدسي: ومن أنا قتلته فعليّ ديته، ومن عليّ ديته فأنا ديته.

عبد الوارث: مظهر هذا الإسم، وهو من لوازم عبد الباقي، لأنه إذا كان باقياً ببقاء الحق بعد فنائه عن نفسه لزم أن يرث ما يرثه الحق من الكل بعد فنائهم من العلم والملك، فهو يرث الأنبياء: علومهم، ومعارفهم، وهدايتهم، لدخولهم في الكل.

عبد الرشيد: هو من آتاه الله رشده بتجلي هذا الإسم فيه، كما قال (عم) ثم أقامه لإرشاد الحق إليه وإلى مصالحهم الدنيوية والأخروية في المعاد والمعاش.

عبد الصبور: هو المثبت في الأمور بتجلي هذا الإسم فيه فلا يعاجل في العقوبات والمؤاخذات، ولا يستعجل في دفع الملمات ويصبر في المجاهدات وما أمره الله به من الطاعات، وما ابتلاه من البليات، وما يعتريه من الأذيات.

الفصل الخامس:

طريق الشاذلية والنقشبندية وسائر الطرق

أصول النقشبندية

وأما الطريق فاعلم أن أصول طريقة النقشبندية:

التمسك بعقائد أهل السنة، وترك الرخص، والأخذ بالعزائم ودوام المراقبة، والإقبال على المولى، والإعراض عن زخارف الدنيا، بل وعن كل ما سوى الله، وتحصيل ملكة الحضور، والخلوة في الجلوة مع التحلي بالإستفادة والإفادة في علوم الدين، والتزيّ بزيّ عوام المؤمنين، وإخفاء الذكر، وحفظ الأنفاس بحيث لا يخرج ولا يدخل نفس مع الغفلة عن الله الكريم، والتخلق بأخلاق النبي صاحب الخلق العظيم.

شروط النقشبندية

فشرائط النقشبندية:

الإعتقاد الصحيح، والتوبة الصادقة، والإستحلال مع أرباب الحقوق، ورد المظالم، واسترضاء الخصوم، والتحقيق على العمل

بأصح الشريعة، والإهتمام على المجانبة من كل المنكرات والمبتدعات، والغيرة على التباعد من الهوى، والمزمومات.

أصول الشاذلية

وأصول الشاذلي خمسة أيضاً:

١ ـ تقوى الله تعالى في السر والعلانية.

٢ ـ واتباع السنّة في الأقوال والأفعال.

٣ ـ والإعراض من الخلق في الإقبال والإدبار.

٤ ـ والرضاء عن الله تعالى في القليل والكثير.

٥ ـ والرجوع إلى الله تعالى في السّراء والضرّاء.

١ ـ فتحقيق التقوى بالورع والإستقامة.

٢ ـ وتحقيق السنّة بالتحفظ وحسن الخلق.

٣ ـ وتحقيق الاعراض بالصبر والتوكل.

٤ ـ وتحقيق الرضاء عن الله بالقناعة والتفويض.

٥ ـ وتحقيق الرجوع إلى الله بالحمد والشكر في السرّاء والضرّاء واللجوء إليه.

أصول القادرية

أصول القادرية ذلك كله خمسة أيضاً:

١ ـ علو الهمة

٢ ـ وحفظ الحرمة

٣ ـ وحسن الخدمة

٤ ـ ونفوذ العزمة

٥ ـ وتعظيم النعمة

١ ـ فمن علت همّته ارتفعت مرتبته

٢ ـ ومن حفظ حرمة الله حفظ الله حرمته

٣ ـ ومن حسنت خدمته وجبت كرامته

٤ ـ ومن انفذ عزمته دامت هدايته

٥ ـ ومن عظمت النعمة في عينه شكرها ومن شكرها استوجب المزيد من المُنْعِم حسب ما وعده.

أصول سائر الطرق

وأصول سائر الطرق خمسة أيضاً:

١ ـ طلب العلم للقيام بالأمر

٢ ـ صحبة المشايخ والأخوان للتبصر

٣ ـ ترك الرخص والتأويلات للحفظ

٤ ـ وضبط الأوقات بالأوراد للحضور

٥ ـ اتهام النفس في كل شيء للخروج من الهوى والسلامة من الغلط.

١ ـ فطلب العلم آمنة صحبة الأحداث سناً أو عقلاً أو ديناً ممن لا يرجع لأصل ولا قاعدة.

٢ ـ وآفة ترك الرخص والتأويلات الشفقة على النفس.

٤ ـ وآفة ضبط الأوقات اتساع النظر في العمل ذي الفضائل.

٥ ـ وآفة اتهام النفس الأنس بحسن أحوالها واستقامتها[١].

وقال تعالى: ﴿وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها﴾[٢]، وقال: ﴿إن النفس لامارة بالسوء﴾.

أقوال الشاذلي

وقال الشيخ الشاذلي: أوصاني حبيبي فقال: لا تنتقل قدميك إلاّ حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلاّ حيث تأمن من معصية الله، ولا تصحب إلاّ من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطفِ لنفسك إلاّ من تزداد به يقيناً.

وقال أيضاً من دلّك على الدنيا فقد غشّك ومن دلّك على العمل فقد أتعبك ومن دلّك على الله فقد نصحك.

وقال أيضاً: إجعل التقوى وطنك ثم لا تضرّك مدح النفس ما لم ترضَ بالعيب أو تُصرّ على الذنب أو تسقط خشية الله بالغيب، وهذه الثلاثة أصول العلل والبلايا والآفات، وقد رأيت فقراء هذا العصر ابتلوا بخمسة أشياء:

إيثار الجهل على العلم

والإغترار بكل ناعق

والتهاون في الأمور

(١) في باب أصول سائر الطرق: خمسة أما الرد عليها فقد أورد الكاتب أربعة ردود تحت صيغة «آفة». وقد سقط الرد على الأصل الثاني.

(٢) ٦/٧٠، سورة الأنعام، وتقول الآية: ﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرّتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾.

والتعزز بالطريق

واستعجال الفتح دون شرطه.

وهم أيضاً ابتلوا بخمسة[٣]

إيثار البدعة على السنة

واتباع أهل الباطل دون أهل الحق

والعمل بالهوى في كل الأمور

وطلب الطرّهات دون الحقايق

وظهور الدعوى

- فظهروا بذلك خمسة أشياء: الوسوسة في العبادات، والإسترسال مع العادات، والسماع والإجتماع في عموم الأوقات، واستمالة الوجوه بحسب الامكان، وصحبة أبناء الدّنيا حتى النساء والصبيان.

- واغتروا بوقايع القوم في ذلك وذكر أحوالهم ولو تحققوا لعلموا أن الأسباب رخصة الضعفاء، فلا يسترسل إلاّ بعيداً من الله، وإن السماع رخصة المغلوب أو الكامل، وهي انحطاط في بساط الحق إذا كان بشرط من أهله في وآدابه، إن الوسوسة بدعة أصلها جهل بالسنة أو خبل في العقل، وإن التوجه لإقبال الخلق إدبار عن الحق لا سيما قارئي مُداهن أو اخيار غافل، أو صوفي جاهل، وإن صحبة الأحداث ظلمة وعار في الدين والدنيا.

---

(٣) في الأصل «فأبتلو بخمسة».

أقوال أبو مدين

وقال أبو مدين: وكل من ادعى مع الله حالاً ثم ظهرت منه إحدى خمس فهو كاذب أو مسلوب:

إرسال الجوارح في معصية الله، والتصنع بطاعة الله، والطمع في خلق الله، والوقيعة في خلق الله، وعدم احترام المسلمين على الوجه الذي أمر به الله.

وشروط الشيخ الذي يلقى المريد إليه نفسه خمسة:

ذوق صريح، وعلم صحيح، وهمة عالية، وحالة مرضية، وبصيرة نافذة. فمن فيه خمسة لا تصح:

مشيخة الجهل بالدين، واسقاط حرمة المسلمين، ودخول ما لا يعني، واتباع الهوى في كل شيء، وسوء الخلق من غير مبالات.

وآداب المريد مع الشيخ والأخوان خمسة:

اتباع الأمر وإن ظهر له خلافه، واجتناب النهي وإن كان فيه حتفه؛ وحفظ حرمته حاضراً وغائباً، حياً وميتاً؛ والقيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير؛ وعزل عقله وعلمه ورياسته إلاّ ما يوافق ذلك من شيخه.

ويستغنى عن ذلك بالإنصاف والنصيحة وهي معاملة الاخوان وإن لم يكن شيخ مرشد، أو وُجد ناقصاً عن شروطه الخمسة اعتمد فيما كَمِلَ فيه، وعومل بالأخوة في الباقي.

الفصل السادس:

شروط المريد وآداب المريد ومهماته

مهمات المريد

وأما مهمات المريد فأمور:

الأول: التزام التقوى بترك المحرمات وحفظ الواجبات من غير اخلال ولا إفراط ويحرص بتحقيق ما يحتاج إليه.

الثاني: العمل بالأسباب التي تكمّل به النفس والتقوى كترك الشبه التي لا تدعو إليها ضرورة.

الثالث: التيقظ لموارد الأشياء ومصادرها بحيث يكون قلبه عند جوارحه، وكل جارحة تتحرك منه يقابلها بحكم حركتها وقصدها. وقال الشاذلي: ما سلم عبد من النفاق يعمل على الوفاق.

الرابع: صحبة أهل المعرفة والعلم الذين يبصرونك بعيوب نفسك ويدلّونك على ربك وذلك بأن يحصل على اللجوء إليه في المبادىء، والشكر إليه في المناهي، والرضا عنه في الواردات، والصبر له في المكاره،

والتسليم في الأقدار وإيثار حقه على كل شيء في كل شيء وقال الشاذلي: لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فإنه لئيم.

الخامس: مجانية أهل العزّة والإغترار، قال سهل: إحذر صحبة ثلاثة أصناف: الفقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين والجبابرة الغافلين.

السادس: إلتزام الأدب. قال الشاذلي: أربعة آداب: إذا خلى الفقير المتجرد فاجعله مع التراب سواء الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والأنصاف من النفس وترك الإنتصاف لها، وأربعة: أدب إذا خلى المتسبب عنها فلا تعتمد مجانية الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة ذوي الفاقة، وملازمة الخمس مع الجماعة.

وقال أبو حفص: التصوف كله أدب: لكل وقت أدب ولكل حال أدب، فمن لزم أدب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، فمن ترك الأدب فهو مطرود من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يظن الوصول.

السابع: إعطاء الأوقات حقها، فقد جاء في صحف إبراهيم عليه السلام: وعلى العاقل أن تكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، قلت: وهي من السحر إلى طلوع الشمس، وساعة يحاسب فيها نفسه وهي من العصر إلى الغروب وساعة يمضي فيها إلى إخوانه الذين يبصرون بعيوبه ويدلّونه على ربه ويعينها متى تيسر له من ليله ونهاره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وشهواته المباحة وهي كالتي قبلها والأوقات كلها، هو

الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً.

الثامن: أن لا ترى في العالم إلاّ أنت وربك فتراقبه حق المراقبة بأن تتخذ ما عنده كنزاً وتنفق منه في ظاهر أمرك وباطنه، ولا تتشوق لأحد سواه، واحذر أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك أو يرى منك التفاتاً لغيره، قال بعض العارفين: من أشار إلى الحق وتعلّق بالخلق أحوجه الله إليهم ونزع الرحمة من قلوبهم، فاستغنِ عن كل ذي قرب ورحم فإن الغني من استغنى عن الناس.

التاسع: اجتناب نوع التكلّف في الحركات. وقد قال عليه السلام: أنا وأتقياء من أمتي براء من التكلّف. وقال تعالى: ﴿قل ما أسئلكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلفين﴾[1].

وأصل التكليف حب المرضاة ومنه تقع خبط الإيمان والفجور والرياء والسمعة والمصانعة فعليكم بالتوسط في كل شيء والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين.

العاشر: عمارة القلب بما يحييه بدلاً من نقيضه وهو أربعة أسباب تقابلها أربعة:

أولها: ذكر غربتك في الدنيا وعمل على ذلك بعدم الانتصاف لنفسك والأنصاف منها والإستسلام لما

---

(١) ٨٦/٣٨، سورة ص الآية ٨٦.

يجري من النحس وغيره ويقابلها شغل القلب بلذاتها ونيل الأغراض.

ثانية: ذكر مصرعه عند الموت وهو الذي ينسيه كل شيء من دنياه ويزهده في الخلق إذ لا ينفعونه في ذلك المحل بشيء ويقابلها نسيان الأجل وبعد الأمل وهو مفتاح خوف وهمّ الرزق وهما أصل كل بلاء الدنيا وكل محنة في الآخرة.

وثالثة: ذكر وحشة القلب وهو الذي ينسيه أنس كل أنيس إلاّ من حيث معاملته فلا تصحب إلاّ أولياء الله، ولا يجتمع إلاّ من يرجو ثواب الله ويقابله شمول الغفلة والاعترار بأيام المهلة، وهو مفتاح ترك العمل والتراخي عنه، والفترة فيه، وطب الرياسة وظهور البدع.

ورابعة: ذكر وقوفه بين يدي الله وهو يوجب أن لا يتحرك حركة ولا سكنة إلاّ بالله ولله، فيتبع الشرع في جميع حركاته ويحاسب نفسه في جميع حالاته، ويستحي من مولاه، في أموره ويقابله الجرأة على الله والإعتذار به مع ظنه أنه راج فيه، ولو أحسن الظن بربه لأحسن العمل له، وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم، أريدكم فأصبحتم من الخاسرين، فإياكم ومحادثات الأمور فإن كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة، والضلالة صاحبها من النار، وإياكم وترهات الباطلين الذين يؤسونكم من الله، ويعوضون عليكم طريقكم فلا هي إلاّ الفرائض الشهورة تؤدى، والمحرمات المعلومة تُترك، والسنن المأثورة تُتبع، ومحبة الأولياء تُؤخذ.

الفصل السابع:

الإنتساب والأخذ والتشبيه

أما الإنتساب فأعلم أن الأخذ والإنتساب إلى الطرق وغيرها إلى أربعة أقسام:

الأول: أخذ المصافحة والتلقين للذكر ولبس الخرقة والفدية للتبرك، وللنسبة أيضاً فقط.

الثاني: أخذ الرواية وهي قراءة كتبهم من غير حل لمعانيها وهو قد يكون للتبريك أو للنسبة أيضاً فقط.

الثالث: أخذ درايته وهو حل كتبهم لإدراك معانيها كذلك فقط.

الرابع: أخذ تدريب وتهذيب وترقي في الخدمة بالمجاهدة للمشاهدة والفناء في التوحيد والبقاء، وهو المراد العزيز وجوده وعلى هذا تعوّل أكثر الطرق، خصوصاً النقشبندية والشاذلية، ويصبح الإنتساب أيضاً بالإتباع والمشاركة ولو في شيء يسير مع المحبة لهم، كتلاوة حزب من أحزابهم ولذا قال الشاذلي: من قر حزبنا هذا فله ما لنا وعليه ما علينا من الرحمة وأعمّ منهما،

وهذا جارٍ في الكل، واعلم أن عدم الإجتماع بالشيخ لا يقدح في محبته بعد أن بلغه مناقبه وطريقته بالتواتر، فليس لقائل أن يقول كيف يقتدي به وهو ميت، فإنا نقول: إنما نقتدي بما بلغنا عنه من طريقته وأخلاقه الحميدة لا بصورته الجسمية، كما نحب رسول الله (صلعم) وأصحابه ولم نرهم، فينبغي لمن انتسب إلى ولي من أولياء الله أن يتشبه به في أصول طريقته وفروعها المهمة، ثم لاح عليه من دقايقها، ويعلم أن هذا باب من أبواب الله، يقف به ليأتيه من ذلك الباب رحمة ونفحة على حسب مراده، ولكن قصده الله تعالى دون ما سواه، ويعظمه تعظيماً يرى فيه رضي الله عنه لأنه تعالى ينوب عن وليه إذا فُقد، ويفني به إذا شُهد. واعلم أن التشبه يكون في الدين والخلق والعمل، فالتشبه بهم في الزي جائز لدفع المضرة وغيرها لقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الآية﴾[1] ولبس الخرقة للتمييز من ذلك والدخول في القوم للتشبه، لكن شرط هذا اجتناب الكبائر وصغائر الخسة، أما المشتبه به والمستند إليه[2] فجزاؤه أن يُحب ويُحترم فتوضع له القبول في الخلق، والحرمة في القلوب، فلا يراه أحد إلاّ احترمه وعظّمه.

فشرط الشيخ الذي يستند إليه أن ينصح الجميع بما أمكنهم

(١) ٣٣/٥٩، وتتمة الآية: ﴿ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾.
(٢) في الأصل: ثم المشتبه والمستند

فيدلّهم على التقوى والإستقامة، وينهاهم عن المنكر والشهوات ويدعو لهم بالثبات والسعادة، والمغفرة والتوفيق، ويعلمهم ما أمكنه من أمر دينه، ويشفق عليه في دنياه، ويجتهد في ذلك بما يجتهد لنفسه، لأن من قصد قوماً وجب حقه عليهم وينظر لكافة خلق الله بعين الرحمة واللطف والشفقة، ويرحم صغيرهم، ويوقر كبيرهم.

الفصل الثامن:

آداب الذكر ومعنى التوحيد والتهليل

الذكر

أما الذكر فاعلم أن الله تعالى جعل أسباباً بعدد أنفاس الخلايق يصل بها إلى حضرته الربانية ويعكف بها في معتكف الحضرات الرحمانية، وتلك الأسباب باطنة وظاهرة:

فالباطنة: نحو مراقبة الحق، واستحضارالعبد في جميع أوقاته أو غالبها، إنه بين يدي الله تعالى، وإنه تعالى مطلع عليه وناظر إليه ومحيط بكل شيء في جميع الكائنات فيحمله على ترك المعصية وحفظ الباطن من الأخلاق الرزيلة.

والظاهرة: بدوام الطاعات من الجمعة والجماعة والزكاة والصدقة وسائر الخيرات والعبادات خصوصاً الإذكار.

واعلم أن أول صيغ الذكر لفظة الله عندالنقشبندية مع ملاحظة المعنى، وقول لا إله إلاّ الله عند الشاذلية، وهما والإستعفار والصلاة عند سائر الطرق بحضور تام وأدب.

قال الله تعالى ﴿أنا جليس من ذكرني وأنا مع عبدي إذا ذكرني

وتحركت بي شفتاه»، ومعنى مجالسة الله تقريب رحمته وعنايته ومدده وفيضه وفتحه ونور أسمائه وصفاته في عبده بحيث إذا صدق في ذكره عمّر قلبه بتلك الأسرار وملأه بهذه الأنوار، ومعنى لفظة الله مقصودي أو مطلوبي أو محبوبي، والله أنت مقصودي، أو يا الله أنت مقصودي، أو الله لا شريك له، أو الله هو مقصودي، أو هو موجود أو معبود، أو أنت الله لا غيره أو لا غيرك.

والأصح عند النقشبندية لا تركيب له بل يقول الله، ويلاحظ بحث الذات بلا تركيب ولا معناه، ومآله ليس شيء وهو السميع العليم.

معنى التوحيد

ومعنى التوحيد: أما للعموم فنفي الألوهية عما سواه تعالى، والإله عند أكثر المتكلمين المعبود بالحق. وعند بعضهم المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، فقولنا لا إله إلاّ الله، أي لا معبود بحق إلاّ الله، أو لا مستغني عن كل ما سواه، مفتقراً إليه كل ما عداه إلاّ الله.

وأما للسالك فمعناه لا معبود إلاّ الله للمبتدي لأن مقتضاه العبادات ابتداء، أولاً مقصود إلاّ الله للمتوسط لأن مقتضاه الطلب، أو لا موجود إلاّ الله للمنتهي لأن مقتضاه الفناء لما سوى الله.

واعلم أن لهذا المنتهى أربع حالات: إما أن يكون في توحيد الأفعال: فيكفي المنفي بلا إله كل فاعل سوى الله، وفي توحيد الصفات يكون المنفي بها كلّ ما سواه، وفي توحيد الذات يكون

المنفي بها كل ما سواه، وفي توحيد المجمل باعتباره مفصلاً فينفي عنه شهود الإجمال بشهود التفصيل.

آداب الذكر

وأما آداب الذكر فتقديم الطهارة عن الحدث والخبث، وصلاة ركعتين عند البعض. يقرأ في الأولى: قل يا أيها الكافرون، وفي الثانية الإخلاص، والمعوذتين فيهما سراً في النهار وجهاراً في الليل، فإذا فرغ جلس متوركاً عند النقشبندية وهيئة التشهد عند السائر، متواضعاً، مستقبل القبلة، متفرغاً عن كل خطرة وشغل، ثم يستغفر الله خمساً أو خمسة عشر أو خمساً وعشرين عند النقشبندية، وسبعين عند الشاذلية، ومائة عند السائر، ثم يدعو الله بقبوله واتباع السنة وحسن الخاتمة له ولشيخه، وأن يروج الله على يده الطريقة والشريعة والسنة.

عند الشاذلية

ويقول عند الشاذلية: يا رب أنت الله يسّر لنا علم لا إله إلاّ الله ثم يقرأ الفاتحة والإخلاص ثلاثاً ويهدي ثوابها إلى السلسلة جميعاً، ثم يغمض عينيه ويلاحظ نفسه كأنه مات وليس له ملجأ من الله إلا إليه، ثم يتوسل إلى مرشده ليشفع به عند ربه ويلاحظ كأنه ناظر إلى المرشد بين عينيه: إما بالرؤية أو بالإيمان والوجدان.

عند النقشبندية

ويقول عند النقشبندية: بالقلب أو باللسان: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي ثلاثاً تأكيداً إلى أنه لا مقصود له بالحقيقة إلا الله الأجلّ الأعلى، بل الشيخ واسطة بينه وبين ذاته الجليلة لقوله تعالى: وابتغوا إليه الوسيلة.

الفصل التاسع:

الوقوف القلبي واللطائف والنفي والإثبات

ثم يشتغل بالوقوف القلبي وهو أن يجمع جميع حواسه البدنية ويقطع عنها جميع الشواغل والحضرات القلبية، ويتوجه بجميع إدراكه إلى أوسط قلبه وعمقه متوجهاً بجمعية القلب إلى الرب المقدس عما لا يليق بحقه فإن المراد من لفظة الله: الذات المتصفة بأكمل الصفات ويبقى في تلك الملاحظة بقدر ربع ساعة، فكلما أكثر منه حصل له القرب والإستعداد، فإن الوقوف القلبي ركن الطريقة بل أساسها بل واجب في كل طاعة بل كل حالة من القيام والقعود والإضطجاع حتى الرواح إلى الخلاء ووقت الجماع ولو حين يغشاها، وإلى هذا يشير قوله تعالى، ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون﴾[1]. (الآية) أي يذكرون الله في جميع أحوالهم مع التفكر في مصنوعات الفاعل المختار، والوقوف القلبي: فإنه لو خلت منه الطاعات أو الإذكار فهي كصورة بلا روح وخارجة عن الإعتبار، ثم بعد ضبط الوقوف يشتغل بالذكر

---

(١) ٣/١٩١، سورة آل عمران، الآية ١٩١ وتتمة الآية: ﴿في خلق السماوات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾

القلبي وذلك بأن يلاحظ جريان لفظة الجلالة من قلبه، ويلصق لسانه بسقف حلقه، ويسكن بجميع جوارحه، ويسكب عن الجسد جميع اختياره وإدراكه، فيطلق حتى يشتغل بذاته، ولو توغل القلب في ملاحظة الذات القدسية واستغرق في تلك الحالة المرضية ولم يذكر إسم الشريف لاستغراقه فيه واستهلاكه ليكفي فهو أحسن وأقوى وهو حال الأقوياء لا المبتدى، ولو حصل لقلبه فتور وقبض أو غفلة أو خطرة لغلبة الإنقباض، فليغتسل بالماء البارد فإن لم تقدر فبالحار، ثم يستغفر الله من كل غفلة وخطرة، ومن ترك الأدب مع ربه أو مرشده ومن سائر ذلاته خمساً وعشرين يصلي ركعتين صلاة التوبة أو يقول سبحان الله الملك الخلّاق الفعّال، إن يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز، وقيل من المعالجة استماع أصوات الرياح والمياه الجاريات، وقيل الصعود على الجبال الراسيات، وقيل البكاء والإنكسار لأن الذكر سبب الوصل والمحبوبية، فلا يسلب إلاّ ممن أراد الله تعالى به المقت والشقاوة والغضب، فإذا حصل له الإنكسار يعود حاله. قال تعالى: أنا عند المنكسرة قلوبهم. وقيل: يقولون إذا أردت مني ذلك (أي ذكر) فهو عين مرادي. ثم يذكّر بلطيفة القلب، فإذا خرج نور تلك اللطيفة من حذاء كتفه وعلا أو حصل فيه اختلاج أو حركة قوية، فيلقن بلطيفة الروح فهي تحت الثدي الأيمن بأصبعين، فالذكر فيها، والوقوف في القلب كمن ينظر إلى الطرفين بنظر واحد، ثم إذا وقعت الحركة فيها واشتغلت فيلقن بلطيفة السر وهي فوق الثدي اليسار بأصبعين فيكون الذكر فيها والوقوف في القلب أيضاً، ثم إذا اشتغلت أيضاً فيلقن بلطيفة الخفي وهي فوق الثدي الأيمن بأصبعين، ثم يلقن بلطيفة الأخفى وهي في وسط الصدر فيشتغل بها كما تقدم ثم بلطيفة النفس وهي ما بين العينين والحاجبين مع

وقوف القلبي في جميع ذكر اللطائف، ثم بلطيفة الجسد فيذكر بجميع الجسد كله بعد بسط الوقوف في جميع أجزائه ومنابت شعره، فإذا أثر الذكر في الجسد كله: إما بالإختلاج اللطيف أو بجريان الذكر في جميع الجسد الكثيف فيكون كالقلب يتحرك بالذكر من أسفله إلى أعلاه ويسمى سلطان الذكر، واعلم أن مقدار الورد من إسم الجلالة، أقله خمسة آلاف ولا حصر لأكثره، وأقله للسالكين خمسة وعشرون ألفاً في مدة يوم وليلة، إما بجلسة واحدة فهو أحسن أو بثلاث جلسات أو بحسب الإمكان.

بعد ذلك يلقن المريد بالنفي والإثبات، وقيل بعد الإستغراق والإستهلاك، وقيل بعد قطع الخواطر دواماً، وقيل بعد ظهور الحضور التام وقيل بعد الإطمئنان والنزاع اللفظي.

كيفية تلقين المريد

وكيفيته أن تلقى أولاً جميع الشعور والإدراكات إلى قعر القلب للوقوف التام ثم تخرج النفس من الأنف بعنف إلى انتهاء النفس بقصد إخراج الخواطر والهواجس فإنه أعظم ما يدفع به الخواطر في جميع الأوقات، ثم يحبس النّفس ثم يلاحظ **لا** ويتخيله خطاً مستطيلاً من السرة إلى أم الدماغ، مع ملاحظة معناه الذي هو النفي والإثبات، ثم يلاحظ لفظة **إلاّ** فيجرّ الخط من أم الدماغ إلى رأس الكتف الأيمن، ويلاحظ النفي بلا المعبود لو كان مبتدئاً أو جنس المقصود لو كان متوسطاً والوجود لو كان منتهياً، ثم يلاحظ لفظة **إلاّ** فيجرّ ذلك لخط من رأس الكتف ماراً على اللطائف بحسب الخيال والإجمال إلى فم القلب، ويريد منه الإستثناء، ويلقي لفظة الله بعظمة وشدّة وغاية القوة إلى قعر القلب، ويؤثر في العدد وفي آخره يتخيل بها كلمة محمد رسول الله ثم يطلق نفسه

لكن مع ضبط الوقوف في خروج النّفس ودخوله وبينهما ثم يقول:

إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي في حالة إطلاق النّفس، ثم يستأنف ثانياً بتلك الشرائط وهلمّ جرا، ويزيد في العدد إلى أن يبلغ إلى إحدى وعشرين مرة بنفس واحد، فحينئذٍ لو ظهر له أثر الإستهلاك والإنمحاء في ذاته تعالى فعلى ذلك المعول، وإلاّ يستأنف من الأول وهكذا إلى حصول ذلك.

ولا يحبس النفس بحيث يشتدّ ضيقه فيشوش حضوره، ولو كان كان له مقصود معين من المطالب فيخصّه بالنفي صريحاً حتى ينتفي أثره عن قلبه، لأن الخطرة الحبية تسدّ باب الفيض بخلاف الخطرة العمومية أي خطورة ما لا يعني.

عند الخالدية

طريق اللطائف والنفي والإثبات عند الخالدية له أركان سبع:

الوقوف القلبي

حبس النفس

ملاحظة الألفاظ

ملاحظة المعاني

كلمة محمد رسول الله

البازكشت وهي: إلهي أنت مقصودي ورضاك مطلوبي

والوقوف العددي.

وقيل تسع والوتر في العدد.

الفصل العاشر:

المقامات والأحوال والترقي

المقامات العشر

المقام الأول: وأما المقامات فهو أن تلاحظ حين الذكر وجميع العبادات كأن اللّه تعالى ناظر إليك وحاضر لكَ، وهو مقام الإحسان لقول سيد الأكوان: ألإحسان أن تعبد اللّه تعالى كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أيّ إذا لم يكن لك قوة على ملاحظة كأنك ناظر إليه فأعبده كأنه ناظر إليك بأن تلاحظ نظره تعالى محيط بك من جميع جهاتك وأنت في وسط ذلك النظر تذوب وتصغر حتى لا يبقى لوجودك أثر ثم تترقّى عن ذلك إلى تخيل أنك في نور ربك البسيط الوحداني المجرد من غير تعلّق شيء وغير مكيف بكيفيّة أصلاً، وغير مقسم للإقسام تتبدّد بل هو محيط بجميع الموجودات من الجسمانية والروحاني الذي هو بكل شيء محيط لقوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطاً، ثم تترقّى عن ذلك إلى مشاهدة الذات العلية المنزهة عن الشبيهة والمثيل والكيفية وهو ناظر إليك ومعك أينما كنت لا كمعية متحيزين بل على ما يليق بشأنه لقوله تعالى وهو معكم أينما كنتم.

المقام الثاني: ثم تترقّى مع تلك المشاهدة الأولية إلى المقام الثاني المسمى بالأحدية بمعنى أن الله تعالى الواحد الباقي الصمد، ودليله: قل هو الله أحد.

المقام الثالث: ثم تترقّى إلى المقام الثالث فهو الأقربية بمعنى أن الله تعالى أقرب إليك من نفسك التي بين جنبيك ودليله قول الملك المجيد ونحن أقرب إليه من حبل الوريد.

المقام الرابع: ثم تترقّى إلى المقام الرابع فهو البصرية بمعنى أنه سبحانه ناظر إليك في جميع حركاتك وسكناتك وإلى ما قدّره عليك مع ملاحظة قربه لديك ودليله قول الفاعل المختار لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار.

المقام الخامس: ثم تترقّى إلى المقام الخامس فهو العلمية لتصون قلبك عن كل خطرة رديّة بمعنى أنه تعالى يعلم ما في القلوب في كل آن ودليله قول العزيز الغفور «ويعلم ما في الصدور»

المقام السادس: ثم تترقى إلى المقام السادس فهو الفاعلية بمعنى: ذاتك وأفعالك فعل من أفعاله تعالى، ليحصل لك الرضاء بجميع أفعاله في الرخاء والشديد لقوله: الكريم الحميد فعّال لما يريد.

المقام السابع: ثم تترقى إلى المقام السابع، فهو الملكية بمعنى أن ذاتك وما تملك ملكٌ من أملاكه تعالى ولا تعارضه في ملكه فسلّم الأمر إليه وتوكل في جميع أحوالك عليه ودليله قوله تعالى: مُجري الفلك قوله الحق وله الملك.

المقام الثامن: ثم تترقّى إلى المقام الثامن فهو الحياتية بمعنى أن الحياة الأبدية انحصرت برب البرية فأثنِ صفاتك بصفاته وذاتك في ذاته ولا تجعل لنفسك وجوداً بل أنت معدوم فدع الأمور للحي القيوم ودليله قوله تعالى: هو الحي لا إله إلاّ هو.

المقام التاسع: ثم ترقّى إلى المقام التاسع فهو المحبوبية بمعنى أن محبته تعالى حصلت لك من التقرب بالنوافل كما في حديث القدس ما زال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبه ألخ أي أن التقرب بالنوافل كان سبباً لمحبته تعالى للعبد والجزاء من جنس العمل، ودليله قوله تعالى يحبهم ويحبونه.

المقام العاشر: ثم ترقى إلى المقام العاشر فهو مراقبة التوحيد الشهودي بمعني أنك أينما توجهت ترى الله تعالى بعين البصيرة، قال الصديق الأعظم: ما رأيت شيئاً إلاّ ورأيت الله قبله، ودليله قوله تعالى: أينما تولّوا فثم وجه الله.

إعلم أن قطع عقبات الطريق إلى أن يصير المريد من أهل هذه المقامات لا بدّ له من السلوك عند مرشد كامل عالم عامل يعرف دسايس النفس والدنيا والشيطان وغوايلها والأخلاق الذميمة ورزايلها.

الفصل الحادي عشر:

مراتب التوبة والإستقامة والتهذيب والقرب

مراتب الطريق

وأما مراتب الطريق: فاعلم أن مراتب الطريق أربع لا يضع السالك قدمه في ثاني مرتبة حتى يحكم الأولى، ولا يدخل في واحدة حتى يعمل ما قبلها فهي: مرتبة التوبة ومرتبة الإستقامة ومرتبة التهذيب ومرتبة التقريب.

المرتبة الأولى: فإن التوبة أصل كل مقام وحال وأول المقامات وهي بمثابه الأرض للبناء فمن لا أرض له لا بناء له، فمن لا توبة له لا حال ولا مقام وهي على ضربين:

أ ـ **إنابة:** فالإنابة أن تخاف اللّه لقدرته عليك والاستجابة أن تستحي من اللّه لقربه منك، والتوبة والرجوع من الذنب وهي على قسمين توبة عوام وتوبة خواص.

ب ـ **توبة العوام:** فتوبة العوام على ثلاثة:

١ ـ الأولى للكافرين: فتوبتهم إلى الإيمان والإسلام وترك الطغيان.

٢ ـ الثانية للفاسقين: فتوبتهم على الكبائر بست: الندم على الماضي وترك الذنوب في الحال، والعزم أن لا

يعود ورود المظالم، وإعادة الفرائض التي فاتت، وتربية النفس في الطاعة، والبكاء في الأسحار.

٣ ـ والثالثة توبة المؤمنين على الصغائر التي صدرت بسهو وغفلة وجهل ونسيان كما قال تعالى إنما التوبة على الذين يعملون السوء جهالة ثم يتوبون (الآية).

وتوبة الخواص: وهي رتبتان: توبة الخواص وتوبة الخاص.

١ ـ والأولى تكون عن الأفكار والاخطار وحب الدنيا وأمورها وتسويلها وهي مقام عوام الأولياء، وخواص المؤمنين الذين في الصف الثاني من الأرواح.

٢ ـ وتوبة خواص الخاص عن اشتغال القلوب بغير ذكر الله وهي مقام خواص الأولياء في الصف الأول من الأرواح، وأشار إلى هذا المقام عليه السلام بقوله: ليغان على قلبي واستغفر الله سبعين مرة وشرطها أن يصرف أمواله وأملاكه على الفقراء ليكون الترك ظاهراً وباطناً وأن يصوم بنية التوبة ثلاثة أيام متوالية على سنة آدم عليه السلام، وأن يصلي ركعتين بنية التوبة، وأن يدعو بما شاء.

المرتبة الثانية: وأما المرتبة الثانية فهي الإستقامة على الطاعة واجتناب المخالفات: بشروطه وأركانه وسننه من غير إخلال مع التواضع لله، وشهود المنة، والتوفيق منه، والخوف من الخذلان، والسلب، ثم التخلق بالكمالات، والتحقيق بالحالات، فيترك العيوب ويتجنب الذنوب ويبتدر المندوب، وليس له إلى ذلك سبيل إلاّ بثلاثة:

إقامة الأوراد من جميع الطاعات، والدعاء في جميع الحالات، واتباع المراد وإيثار السداد.

واعلم أن سبيل الخير كلها ثلاث:

خشية الله في السر والعلانية، والرضاء عن الله بالقليل والكثير، ومحاسنة الخلق في الإقبال والإدبار.

وأشد البلاء مجموعة في ثلاث:

خوف الخلق، وهمّ الرزق، والرضاء عن النفس.

وأعظم العافية واللطف ثابتة في ثلاثة:

الثقة بالله في كل شيء والرضاء عن الله بكل حال واتقاء شرور الناس وعلامة الرضاء والمحبة لله هو تقديم أمره على هوى النفس، ورعاية حدود الشرع، والتقوى والورع، والتشوق إلى لقائه، والخلو عن كراهة الموت، والرضاء بقضائه، ومحبة كلامه، والتلذذ بتلاوته، وسماعه، والطرب عند ذكره أو إسماع إسمه، وعدم الصبر، ومحبته عليه السلام، وأتباعه.

قال زروقي رضي الله عنه. الأصول ثلاثة:

خشية الله في السر والعلانية

والعدل في الرضاء والغضب

والقصد في الغنى والفقر

والفروع ثلاثة:

حفظ الحرم

ولزوم الخدمة

وتصفية اللقمة

وتحقيقها بثلاث:

إفراد القلب لله في جميع الأوقات

واتهام النفس في جميع الحالات

واتباع العلم في الحركات والسكنات

وتقييمها بثلاث:

حسن الخلق في معاملة الخلق

والرفق في التناول

والتأني في التوجه.

وقال (رزوقي). أصول الخير ثلاثة:

التواضع وحسن الخلق والنصيحة:

أ ـ فالتواضع تتبعه ثلاث:

الإنصاف من نفسك، وترك الإتصاف لها، وخدمة المؤمنين.

ب ـ وحسن الخلق تتبعه ثلاث:

العدل في الرضا والغضب، والقصد في الفقر والغنى، والخشية في السر والعلانية.

ج ـ والنصيحة تتبعها ثلاث:

العمل الصالح والعلم الصحيح، واتباع لحق في كل حال.

المرتبة الثالثة: أما المرتبة الثالثة فهي التهذيب واعلم أن لها أربعة أركان:

الصوم، والصمت، والعزلة، والسهر.

وكل واحد منها يدفع عدوّاً.

- فالشيطان سلاحه الشبع وسجنه الجوع.
- والهوى سلاحه الكلام وسجنه الصمت.
- والدنيا سلاحها لقاء الخلق وسجنها العزلة.
- والنفس سلاحها النوم وسجنها السهر.

واعلم أن الإفراط من الصمت مضر بالحكمة، والإفراط من السهر مؤذٍ للحواس، والإفراط من الخلوة يؤدي إلى الاختلاط، لكن خير الأمور أوسطها، وهو مع ذلك يجاهد نفسه إلى أن تزيله أخلاقه الذميمة من العجب، والرياء، والكبر، والحسد، والبخل، والحقد، والكفر، والبدعة، والجهل، وكفران النعمة، والجزع، والشكوى، واليأس، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وحب الظلمة، وبعض الصالحين، وتعليق القلب بأسباب الدنيا، وحب الجاه والمدح، والثناء، وخوف الذم، واتباع الهوى، والتقليد، والتذلّل للدنيا، والشماتة، والجبن، والتهور، والغدر، وخلف الوعد، والطيرة، وسوء الظن، وحب المال، وحب الدنيا، والحرص، والسفه، والبطالة، والعجلة، والتسويف بالعمل، والوقاحة، والحزن في أمر الدنيا، والخوف فيه، والفتنة والعناد والتمرّد، والإباء والنفاق والجربزة، والغباوة والشره، والخمود وحب الشهوات، والإصرار على المعاصي، وخوف الفقر وسخط المقدور، والغلّ والغش، وطلب العلوّ وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع، والغضب والبغضاء والأنفة، والعداوة والطمع والبزخ، والأشر والبطر، وتعظيم الأغنياء والإستهانة بالفقراء، والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والإستكبار عن الحق، والخوض فيما لا يعني، وحب كثرة الكلام والصلف، والتزيين للخلق والمداهنة، والاشتغال عن عيوب النفس

بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب، وخروج الخشية وشدة الإنتصار للنفس إذا نالها الذلّ، وضعف الإنتصار، واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السر، والإتكال على الطاعة والمكر، والخيانة والمخادعة وطول الأمل، والقسوة والفظاظة، والفرح بالدنيا، والأسف على فواتها، والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم، والجفاء والطيش والخفة، وقلّة الحياء وقلة الرحمة.

فهذه وامثالها من صفات القلب ومغارس الفواحش فيه، ومنابت الأعمال المخطورة، وإلى أن تخلق بأضدادها وهي الأخلاق الحميدة التي هي منبع الطاعات والقربات، فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمرتها وعلاجها هو علم الآخرة والتهذيب، وهو فرض عين عندهم.

المرتبة الرابعة: أما المرتبة الرابعة فهي التقريب، وهو أن يدخل السالك الصادق إلى الخلوة بشروطه ويداوم الذكر ولا يتركه ساعة حتى يصير الذكر له بمثابة المنفس، يجري من غير اختيار ولا قصد، بحيث لو صمت ومنع لا يمنع ولا ينفك عنه، ويجري الذكر وإن صمت اللسان وكان بمنزلة جري الغذاء في الأجسام، يسري سرياناً لا يتفطّن له، وتوجد له قوة ولو فقده وجد أثره فعلم سريانه ونفعه، فإذا حصل له هذا اتسعت ميادين الله، ومرافق أسراره، فبدأه بنور الحق ما كشف له الوجود، وحاصل هذا أن يطلع على معادين الغيوب على حسب قوته وقد سعيه واستعداده وإخلاصه.

طريق الفراسة والتخيل

وأما طريق الفراسة والتخيل: في طريق الكشف والتمثيل، أو من الإفادة والتعليم. لأن قلبه صار مرآة، والوجود محاذاً له أبداً.

ثم بعد هذا الكشف قد تزلّ قدم المريد بالوقوع والإشتغال بعض ما رآه من العجايب فيوكل إليه أو يكله فيثبت فيتأتى إليه كل ما فيه من صور الأكوان وحقائق الكشف غير أنه لا يخرج من موقف حتى يبدو له فيه ما هو مقصود له باعتبار وقته. وهو في كل ذلك خائف من طرده تعالى ومقته. فكل مورد له فيه مخاطبات وتنزيلات ومدامات كلها خارجة عن مقصوده، فإذا أُفتى عن رؤية العوالم وهو خلع فعل الكون لم يرَ في الكون غير المكوّن، فإذا تمكن من مقام الغناء عاد عنده عود ما لأستغراقه بالحقايق وهو غاية الطريق، ثم إن شاهد الحقيقة يقضي له بالحق فيصير غريق الأنوار مطموس الآثار، قد غلبت سكره على صحوه، وجمعه على فرقه، وفنائه على بقائه، وغيبته على حضوره، وأكمل فازداد صحواً، وهو مقام النهاية ولم يبق إلا ما يهبه الله له من أنواع الكرامة.

الفصل الثاني عشر:

الصحبة وآدابها وفوائدها

وأما الصحبة وآدابها: فاعلم أن للصحبة ثلاث فوايد:

الأولى: إن صحبة أهل الخير تمنع المريد عن الانقلاب والعود إلى البطالة، وتبعد النفس عن التشوّق إلى المعاصي، فإن البعد عن المعاصي يثقل فعلها في النفس، والقرب من الطاعات يهون أمرها على النفس، فبركة الصحبة وقوة الروحانية القدسية يسهل أمرها عليه.

الثانية: إن علم القلوب لا يصطاد إلا بالصحبة فإن من تحقق حاله لم يخلِ حاضروها منها، والطبع يسرق من الطبع، من حيث لا يعلم، والمرء على دين خليله، والمؤمن مرآة أخاه، وما كان من المرئيات انطبع في المرآة المقابلة لها، ولذا كان معول الشاذلية والنقشبندية على الصحبة، واعلم أن الداعي للصحبة بين أثنين: وجود الجنسية[1]، والنسبية بينهما، فلا يصحب إلاّ

(١) أي التجانس، من جنس واحد

من وجدهما، فإنك تجد جنس البشر مثلاً يميل بعضهم إلى بعض، وكذلك غيره من الحيوانات يميل كل نوع إلى بعضه أكثر من ميله إلى النوع الآخر، وكَمَيْل أهل الملّة إلى بعضها، وكَمَيْلِ أهل الطاعة إلى بعضهم، كذلك أهل المعصية، وكَمَيْل أهل الشرع والطريقة والحقيقة والمعرفة وكذلك أهل كل علم وحال وقال ومقام وضايع وحرقة. ويؤيد ذلك قول النبي عليه السلام: الأرواح خبود مخبدة فما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف. فإذا علم أن الموجب للصحبة وجود الجنسية والنسبة، فتفقّد نفسك عند الميل إلى صحبة شخص والحالة التي فيه من أجلها أحببته ووزّن ذلك بميزان الشرع، فإذا رأيت أحواله مسدّدة فبشر نفسك بحسن الحال وإن رأيت أحواله غير مسدّدة فارجع إلى نفسك باللوم، فإن تلك الحالة القبيحة مركوزة في نفسك، وفرّ منه كفرارك من الأسر، فإنه ازداد لك ظلمة وبعداً ومقتاً وغفلة ونقمة، فيجب أن يقتدى بمن علم بالديانة والصيانة والرحمة والعفة، والتقوى والأمانة من البدع والأهواء والخيانة، بعد أن تتحقق أن طريقته موافقة بالكتاب والسنة وأفعال الصحابة والمشايخ الراسخين والعارفين وكبار الأمة.

الثالثة: أن السالك مبتل بنفسه فإذا عمل وحده ربما ظفر منه الشيطان بخيالات وأوهامات وعقائد فاسدة وأفكار فاسدة، وتسلّ ومكر وحيلٍ وزندقةٍ واستدراج وغيرها، ويوهمه أن ذلك من الأحوال والأصول وهو لا يدري، لا سيما المبتدىء فإنه يشوّش عليه هذه الحالة، فلا بد

من شيخ بشروطه السابقة لينجو من هذه الورطة وعقبات الطريق وتوقفه.

الفصل الثالث عشر:

التلقين والسند والسلسلة

وأما التلقين وسنده فلما كانت الصحبة من لوازم الطريق وشروطه وكان الإنتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة مستندة إلى شيخ صاحب الطريق وهو إلى النبي عليه السلام، وكان الذكر لا يفيد فائدة تامة إلاّ بالتلقين والاذن بل جعل الأكثر شرطاً، وكان الشيخ في الدين مقدم النسب على الأب في الطين كما قال بعضهم: نسب أقرب في شرع الهوى بيتاً من نسب من أبوي، وكان السالك لا بد له من مرشد حسي كالشيخ، أو معنوي كالإلهام، وحسن التفقه في الكتاب والسنة وإجماع الأمة مع التيقظ، والإعتبار، والتفكر بمساعدة التوفيق واللطف والعناية، أو يغنيه الله عن ذلك كله بمنح من فضله وجذبه بها فيصل من غير مشقة، وحيث ذكر الأسانيد في كل طرق إلى رسول الله عليه السلام.

واعلم أن من لا يعرف إباه وأجداده في الطريق فهو مطرود وكلامه دعوى غير مقبولة، وربما انتسب إلى غير أبيه فيدخل في قوله عليه السلام: لعن الله من انتسب إلى غير أبيه، وقد أجمع

السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ولا إذن في أن يجلس للناس لا يجوز له الصدر إلى إرشاد الناس، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ولا أن يلقنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق، إذ السر في الطريق إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى رسول الله عليه السلام إلى حضرت الحق جلّ جلاله، فمن لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدود منهم، فأقول روى أحمد والطبراني وغيرهما أن رسول الله عليه السلام لقّن أصحابه جماعة وفرادى.

فأما تلقينهم جماعة فقد قال شداد بن أوس: كنا عند النبي عليه السلام فقال عليه السلام: هل فيكم غريب يعني من أهل الكتاب. قلت لا. فأمر بغلق الباب وقال ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلاّ الله، ثم قال الحمد لله اللهم أنك بعثتني بهذه الكلمات وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وأنك لا تخلف الميعاد، ثم قال ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم.

وأما تلقينهم فرادى فروى يوسف الكوراني وغيره بسند الصحيح أن علياً رضي الله عنه سأل النبي (صلعم) قال: دلّني على أقرب طريق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى. فقال (عم): أفضل ما قلت أنا والنبييون من قبلي لا إله إلاّ الله ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلاّ الله في كفة لرجحت بهم، ثم قال (عم): يا علي لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله. فقال علي كيف أذكر يا رسول الله. فقال (عم): غمّض[1] عينيك واسمع عني ثلاث مرات ثم قال: أنت ثلاث مرات وأنا أسمع فقال: لا إله إلاّ الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعليّ يسمع. ثم قال علي: لا إله إلاّ الله

(١) هذا في الأصل.

كذلك والنبي عليه السلام يسمع، فهذه نسبة عليّ في تلقين الذكر، وأما نسبة الباطنية في تلقين الإذكار القلبية وذلك بإثبات من غير نفي بلفظ إسم الذات لقوله تعالى للرسول (عم): ﴿قل الله ثم ذرهم﴾

وهذا نسبة الصديق الأعظم التي أخذها باطناً عن النبي (عم)، وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه (رضي) وعنى به لقول النبي (عم) من ربه ما فضّلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة بل بشيء وُقِّر في قلبه، وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين فهما أصلان وعليهم عون الرحمٰن.

الفصل الرابع عشر:

التوحيد وخواصها وأسرارها

وأما التوحيد بلا إله إلاّ الله فإن كل من توجه وقلبه لغير الله حجب عن الله تعالى، وكل من ذكر وقلبه بغير مذكورة حجب بألف حجاب، فإذا تطهرت ظاهرك من الأنجاس والأدناس وباطنك من الوسواس والظنون والأوهام، فقل خمسة آلاف مرة لا إله إلاّ الله، وأقله عند الشاذلية، وإياك أن يكون ذكر عدد بل حضور ومعنى، وأصل الذكر التلذذ والحلاوة، فإن غلب عليك خشوع ودموع واحتراق واغتراق فذلك علامة الفتح، ولايزال الذكر يذكر حتى يدرك العجايب والغرايب والأسرار العظيمة والكيفية الفخيمة ثم تحرك لسانه بالذكر ويبقى الفكر، وهو مقام الأكابر، وفيه فاعرف، وهذا التوجه سريع الفتح، وأكثر العباد تركوا العبادات والرياضات واشتغلوا بالتوجهات حتى أحرق الذكر من قلوبهم ما سوى الله وتوقفوا، فإذا كان مع رياضة حصل الكمال الأعظم سريع البتة بلا شك.

خواص التوحيد

وأما خواصها فروى أنت منت قالها سبعين ألف مرة فداه الله

من النار وقال (عم): ما قال أحد لا إله إلاّ الله مخلصاً من قلبه إلاّ فتحت له أبواب السماء حتى يفضي إلى العرش ما اجتنب الكبائر، وعن الصحابة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ومدّها بالتعظيم غفر له أربعة آلاف ذنب من الكبائر، ومن يخشى شيئاً فليقل بعد صلاة الصبح استكفى كل شر بلا إله إلاّ الله مائة مرة فإنه يكفي مايخاف ومن كتبها على خاتم فضة في الساعة الأولى من يوم الجمعة، انشرح صدره وانبسط فكره وتيسّر أمره وزال همّه وانجلى كربه، ولا يقع عليه بصر أحد إلا أحبه ومن كتبه في جام بعدده ومحاه بماءٍ وشربه على الفطور[1] أحيا الله قلبه بنور الإيمان وفجّر من صدره أنوار العرفان، ومن داوم على شربه وقاه الله شر قساوة القلب، وفتح باطنه لقبول الحقايق الإيمانية والأسرار الروحانية، ومن كتب على خاتمه وتلا عليه عدده ووضعه تحت رأسه، رأى ما رآه في نومه بشرط العزلة والطهارة، وهذا وفقه[2]:

٥٤	٥٩	٥٢
٥٣	٥٥	٥٧
٥٨	٥١	٥٦

وفي المعارف أن من قالها ألف مرة على الطهارة في صبيحة كل يوم يسّر الله عليه أسباب الرزق، ومن قالها عند منامة ألفاً باتت روحه تحت العرش، ومن قالها عند قوة الشمس ضعف منه شيطان الباطن، ومن قالها عند رؤية الهلال أمن من إسقام الأجسام، ومن قالها عند دخول مدينة أمن من فتنها، ومن قالها بجمع فكرة

(١) «أي مابه يفطر». الشرح للمؤلف.
(٢) أي وهذا محتواه.

وأرسلها بظالم أو جابر قطعته، ومن قالها بقصد التطلع إلى العلويات كشف له عن غيب ما قصده، ولها خواص كثيرة وهذه نبذة ترغيب.

الفصل الخامس عشر:

الفرق بين الأحوال الربّانية والشيطانية

وأما الفرق بين الأحوال الربانية والطبيعية الشيطانية فلا بدّ من معرفتها حتى يميزها عيانا.

قالوا المدّعي السماع له حالات ثلاث:

الحالة الأولى: تقتصر على شيء منها وهو أن الإنسان إذا كان صاحب صدق فإذا ورد عليه شيء، فاشتغل الروح معه، وتتّحد الجوارح، وينحرف الطبع، ويتغير المزاج، فإن الجسم اشتغل عنه حافظه بما يلقى إليه، فإذا انصرف عنه حافظه بما يلقى إليه، فإذا انصرف عنه النور الملكي ثرى عنه وقد عرق جبينه واحمر وجهه وقام كأنه نشط من عقال، وهي المحادثة، ولأولياء الله فيها مشرب شتى، ومتى اشتد على الإنسان وغاب عن وجود الحسي، فإن حصل في تلك الغيبة علم يعقله هنا ويعقله إذا رجع إلى حسّه ويعبّر عنه على ما أعطاه الله من العبادة، فهو الحال الإلهي، ويملأ القلب سروراً عند الإفاقة، وإن غلب ثم ردّ ولم يجد شيئاً إلاّ أنه أخذ عنه بقبضته قبض عليه لم تتم له فائدة، ولكن غاب عن حسّه، فهذا حاله من المزاج لما صحى القلب بالذكر أو بالتخيّل صعد منه

البخار من التجويف الكبير إلى الدماغ، فحجب العقل، ومنع الروح الحيواني من السريان، ورمى بصاحبه كالمصروع، فهذا حال صحيح ولكن من المزاج الطبيعي ليس له فائدة، وكثيراً رأى شبحاً أو سحاباً أو بستاناً أو براً أو بحراً وهو هذا البخار.

الحالة الثالثة[١]: وأما الحال الثالث: الكذاب وهو الذي يعقل أهل مجلسه في السماع أو في خلوة، فهذا صاحب وسوسة وحديث نفس قد سخر به الشيطان، فكلما يلقى إليه يتخيل أنها علوم وهي سموم، فلا يعول على كل ما يخاطب في هذه الحالة ولو صادف الصحة فيها، كما قال الفقهاء من صلى جاهلاً بكيفية الوضوء والصلاة والقبلة لا تصح صلاته، وإن صادف الصحة، فكما أن هذه المسألة أصل عند العلماء، فكذلك عند الصوفية، فلا يعول أبداً على ما يخاطب الجاهل بطريق، فإنه لا يحسن أن يفرق بين الحق والباطل فكيف يعول على قوله، فإن هذه الحالة شيطانية، وأنه ليس في قوة الشيطان أن يغيّبك عن حسّك ثم يلقى إليك وتعقل عنه، وإنما هو على وجهين، إما أن يغيبك مثل الصرع لكن لا يلقى إليك شيئاً لأنه لا يجد من يأخذ عنه لأنه لا عقل له، وأما أن لا يغيبك ولا يلقى إليك، وأنت مع حسّك وفي باطنك شيء من حرارة وتوهم واستماع إلى بعد وضرب من استعداد الخطاب، فإن عرف أنه تمكن منه في هذا المقام ألقى إليه خطاباً فحسن بمواقع بنفسه على حسب ما يلقى إليه، فيخبر عما وجده، فاخياره أنه وجد هذا في نفسه صحيحاً، وربما يقول له بمواقع خطابه عبدي أنا ربك لا تنظر إلاّ بي فإن نظرت إليّ بك أشركت فأنا الناظر والمنظور، وأنا الساجد والمسجود وأنا الذاكر والمذكور، وأما أشبه ذلك من

(١) لم يأت الكاتب على الحالة الثانية.

الخطاب، ويقنع إبليس منه أن يعتقد أن يعتقد أن ذلك من الله تعالى فيستولي عليه فيصير محلاً له طول عمره، فلو علم هذا الجاهل أن خطابه الحق، لا تنزل إحساساً، وليست بالوهم، ولا بالخيال، ولا بالإستعداد، ولا بالإنتظار، ولا بخاطر يخطر بالبال، ولا يبقاء الحس والقال لرجع عن جهله، ولو علمت من جهلك بنفسك وبغرور الشيطان بك لتُبت إلى الله، وعرضت هذه الأمور على مرشد ليعرفك الحق، فإن أمرتك ونهيتك بضرب من العبارات فهو شيطانية، فأكثر من[٢] الذكر وقراءة آية الكرسي، أو المعوذتين والحمد والبسملة والإستغفار وترك الطمع والدنيا، فهذه السلاح[٣] الثمانية، وإن لم تأمرك ولكن تخبرك بما وقع في الكون من أمر مغيّب من خوارق العادات فأنت على الإحتمال من أن تكون شيطانة، فميّز بينها بسرعة الإلقاء والتفرقة، وإن لم يلق إلاّ شيئاً ثم شيئاً آخر ثم آخر فهو روح شيطاني[٤] فألهمها فجورها وتقواها، وإن استمر أمر واحد فإنك في حال الفتنة أيضاً، فلا تقبل من إلقاء إلا ما حصل لك في حال الفناء الكلي عن نفسك وحسّك، ولا يبقى من تمثيل ولا حس سوى مجرد الفهم منك بما يكون منه، فإن:

سر المشاهدة للبهت، وسر الكشف للعلم، وسر البقاء للأدب، وسر الفناء للتوحيد، وسر القبض للإفتقار، وسر البسط للسؤال، وسر المعرفة للحجز، والأسرار كثير تفطن.

---

(٢) ثمانية نواهي.

(٣) والصحيح «الأسلحة» لكن الكاتب، استخدم التعبير بصفة المفرد.

(٤) أي نَفْسٌ أمارة أو لوّامة. والتفسير للمؤلف.

الفصل السادس عشر:

الهواجس والخواطر وأنواعها

وأما الفرق بين الهواجس والخواطر فاعلم فان الهاجس يعبّر عن الخاطر الأول وهو الخاطر الربّاني، والرحماني، والمزعج ويسميه سهل السبب الأول وهوالخاطر، فإذا تحقق في النفس سمّوه هماً، وفي الرابعة سمّوه عزماً، وعند التوجه إلى سمّوه قصداً، ومع الشروع في الفعل سمّوه نية، وإن يكن خاطر فعل سمّوه إلهاماً أو علوماً موهبية أو لدنية فالإلهام يكون عاماً فالهمها فجورها وتقواها، والموهبي واللدني خاص بالأولياء: وعلمناه لدناً علماً؛ والخواطر خطاب يرد على الضمائر فقد تكون بالقاء الحق، وقد تكون بالقاء الملك، وقد تكون أحاديث النفس، وقد تكون بإلقاء الشيطان، ويسمون الرباني عناية ولطفاً وخذلاناً إن شرا، والملكي إلهاماً، والشيطاني وسواساً، والنفساني خواطر، والرباني يرده بالرحمة والعظمة والحكمة، فإذا ورد بالرحمة ابقى في القلب أُنساً، وإذا ورد بالعظمة أبقى في القلب هيبة، وإذا ورد بالحكمة أبقى في القلب سكوناً، والملكي يرد مبشراً ومنذراً ومنبهاً فإذا بشر ألقى في القلب بسطاً، وإذا أنذر بقي في القلب قبضاً، وإذا ورد منبهاً ترك

في القلب علماً، والنفساني يدعو إلى الحظ والأمنيات والشهوات وسوء الأخلاق، والشيطاني يشوق للمعاصي ويخوف من الفقر ويأمر بالفحشاء ويحضّ على الكفر.

وفرق الجنيد بين الهواجس والوسواس الشيطاني فقال:

إن النفس إذا طالبتك بشيء ألحّت فلا تزال تعاود وتصمم ولو بعد حين حتى يصل إلى مرادها وتحصّل مقصودها إلاّ أن يدوم صدق المجاهدة حتى: تموت عن حظوظها، وتسكن أغراضها، فيستريح السالك من آفاتها البتة، وأما الشيطان إذا دعا إلى ذلّة وقُبح مخالفته يتركها فهو يوسوس بذلّة أخرى، لأن المخالفات عنده سواء. وكل خاطر يكون من الملك فإنه يأمره بالمعروف ويشوقه بالفضائل ويزين له كسب الحسنات ويحذره من السيئات ويعلم السالك جميع ما يحتاج إليه، كأنه استاذ الولي وزاجره في ضميره، وليس له غرض في تخصيص فعل خير دون آخر، واعلم أن الخواطر هي موازين، يحفظ بها الولي بدايته، ويخلص بمعرفتها نهايته.

والخواطر أربعة أولها الربّاني وهو مصيب أبداً وبه تكون الفراسة للمؤمن الكامل والمكاشفة عند السالك الصادق وترد بثلاث:

فإذا ورد بالجلال يمحق ويفنى

وإذا ورد بالجمال يثبت ويبقى

وإذا ورد بالكمال يُصلح ويهدي

وللخواطر أربع موارد:

فالخاطر الربّاني يرد على الروح وهو أبداً لا يكذب

والملكي على العقل: وهو أبداً لا يغشى

والنفساني على القلب: وهو أبداً لا يصدق
والشيطاني على الطبع: وهو أبداً لا ينصح.

ورود الخواطر

أ ـ وأكثر ما يرد الخاطر الرباني إذا خرج من خلوة أو انفصل عن غيبة أو فكر في حقيقة، وهو المفيد للولي في حال الكمال ويهبه الإستقامة والإعتدال، ويكون خارقاً للعادة في عالم الغيب والشهادة.

ب ـ والخاطر الملكي يرد واعظاً وآمراً وناهياً وناصحاً.

ج ـ والنفساني يرد بالكبر والغضب والعجلة ولنّورانية عند كل الحرام ومعاشرة اللئام، ومجالسة أهل الجدال والكلام.

د ـ والشيطاني يرد عند الميل إلى الطبع والفرار من قيود الشرع.

ثم إن الرباني يبلغ منازل المقربين ويكاشف من أختصه الحق بعلوم الأولين والآخرين.

والملكي يحضّ على مقام أهل اليمين، ويشوق لمنازل الصالحين.

والنفساني يرغب في العاجل ويزهد في الآجل ويدعى في الرتب ويفرض العلم والسبب، ويزدري بأحوال المتقين وينزل بالهدى إلى أسفل السافلين.

والشيطاني يعد بالفقر ويزين الأماني فتزن بميزان الشرع فتبصّر يا خواني[1].

---

(١) والصحيح فتبصّروا يا أخواني

الفصل السابع عشر:

الواقعات والرؤية والمشاهدات

وأما الواقعات التي تظهر للسالك بين النوم واليقظة فهو إنه إذا شرع في رياضة النفس تظهر له العبودية في عالم الملك والملكوت، وفائدتها في السالك أن يطّلع على أحوال النفس في الزيادة والنقصان والرفعة ولوجد والشوق إلى المنازل والمقال والدرجات من العلوي والسفلي، والحق والباطل، وبها يعرف في أي صفة عالية عليه من النفسانية والحيوانية والشيطانية والسبعية والقلبية والروحية والملكية والرحمانية، فإن كانت مستولية عليه صفة من الصفات المزمومة النفسانية، كالحرص، والبخل، والحقد، والكبر، والغضب، والشهوة وغيرها فإنها تظهر في الواقعات حيوانات.

- فإن كانت صفة الحرص غالبة عليه تظهر بصورة الفأرة والنمل
- وإن كانت صفة الحقد غالبة فبصورة العقارب والحيات
- وإن كانت صفة الكبر غالبة فبصورة الفحل
- وإن كانت صفة البهايم غالبة فبصورة الأغنام
- وإن كانت صفة الشهوة غالبة فبصورة الحمار

- وإن كانت السبعية غالبة فبصورة السباع
- وإن كانت الشيطانية فبصورة الشياطين والمردة والأباليس والغيلان،
- وإن كانت الحيلة والمكر غالبة تتمثل بالأرنب والثعلب
- فإن رأى هذه الأشياء يعلم أن هذه الصفات غالبة عليه،
- فإن رأى الأنهار الجارية الصافية والكواكب والقمر والسماء مضحية يعلم أن هذه من الصفات القلبية.
- وإن رأى الأنوار والصعود والعروج وطي الأرض والذهاب إلى السماء والجو وكشف المعاني والعلوم الدينية والإدراكات بلا وساطة الحس علم أنها من مقامات الروح.
- وإن رأى مطالعات الملكوت والهواتف والأفلاك والأنجم والعرش والكرسي علم أنها من صفات الملكية وحصول الصفات الحميدية.
- وإن رأى مشاهدات نوار الغيب ومكاشفات الصفات الإلهية والإلهامات والإشارات والوحي والتجلّي للصفات الربوبية علم أنها من مقامات التخليق بأخلاق الرحمان.

وبالجملة أن كل صفة كانت غالبة على النفس رأيها السالك في صورة تشاكل تلك الصفة عليها.

واعلم أنه إذا بلغ مقاماً لا علم له، وإن قطع عن السلوك فلا بد من شيخ إذا كان سلوكه في صفات النفس والقلب، وإذا كان بلغ بالمقام الروحاني فلا يمكن عبوره إلاّ بتصريف صاحب الولاية.

واعلم أن الواقعات القلبية والروحية والملكية تكون مع الذوق ويحصل للنفس منها قوة وشر وشوق، ويظهر له التنفر عن الخلق

ولذة عالم الشهادة ومشتهيات عالم الجسم، ويحصل لها الإستئناس مع المغيبات والعالم الروحاني، ولما ينكشف لها عالم الأسرار والحقائق تنقطع بالكلية إلى عالم الغيب، ثم بعد ذلك تحصل المشاهدة وهي أن مرآت إذا أصفيت بلا إله إلاّ الله وحصلت لها الصقالة، وذهب عنها الصداء تظهر لها أنوار الغيب بحسب الصقالة فتكون أولاً كالبرق واللوامع واللوايح، ثم كالسراج، ثم كالشمع، ثم كالمشعل، ثم كالكواكب، ثم كالهلال، ثم كالبدر، ثم كالشمس، ثم أنوار مجردة ووصف ذلك يطول، ثم بعدها التجليات ويليها المكاشفات ثم الوصول إلى حقيقة المعرفة.

التوصل الى الحقيقة

واعلم أن للقوم في قطع مسافة النفس والتوصل إلى الحقيقة طريقين: وهما بحسب فرقتين:

١ ـ فرقة بطريقة الجلاء، هي استعمال الرياضات وتزكية الأخلاق فهؤلاء إن أخذوا تلك الأعمال عن شرع فهم الصوفية وإلاّ فهم الإشراقيون من الحكماء الآلهيين.

٢ ـ وفرقة بالإشتغال بالعلوم والبحث، وهؤلاء إن استندوا إلى شريعة فهم متكلمون وإلاّ فهم مشّاؤون.

قال أحمد زروقي عن الفريق الأول:

يقولون إن النفس في أصل نشأتها كالمرآة صقيلة، نظيفة، يتجلى فيها كل شيء، يقابلها من الماضي الوجود والآتي منه، لكن المعرفة عن ذلك بأحد الأمرين:

أما صدائها بصورة الأكوان شهوداً واعتماداً واستناداً، وانصرافها عن المقصود بالتوجه إلى غيره من العلوم والعمليات

وغيرها مما يصرفها عن المقصود بانطباعه فيها، فلو انجلت في الأمر الأول لأبصرت لرفع حجابها، ولو توجهت في الثاني لرأت لنفي احتجابها، وما دامت معلقة بأحدهما فهي مصروفة عن المقصود فلا يمكن الوصول إليه، ولذا قال في الحكم، كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أما كيف يرتحل الله وهو مكبّل، أما كيف يطمع أن يدخل حضرت الله وهو لم يتطرق من جناية عقلاته، أما كيف يرجو أن يفهم وقائع الأسرار وهو لم يتب من هفواته.

وأما الفريق الثاني[١] أهل طريق البحث والإشتغال بالعلوم فإنهم عالجوا النفس بطريق العلم والعمل، وذلك أن ما فيها من الأنوار يتعاضد ويدفع بما يرد عليه من ظلمة وشكل وقدرة أصلاً وفرعاً، بقوته.

وقالوا إن العلم أمام العمل، والعمل تابعة له، وقال (عم) إنما العلم بالتعلم، وأن الحلم بالتحلم ومن يطلب الخير يؤتيه، ومن يتق الشر يوقه ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم.

فالعلوم التي يحتاج إليها أربعة:

١ ـ علم الذات والصفات

٢ ـ علم الفقه والفتوى

٣ ـ علم التفسير والحديث

٤ ـ علم الحالات والمنزلات وما يجري فيها من الآداب والمعاملات.

---

(١) فريق الإشتغال بالعلوم والبحث.

الفصل الثامن عشر:

السلوك وأقسامها وأربابها والسير

وأما السلوك: قالوا: إن الطرق على ثلاثة أقسام والناس بحسب اختلاف أحوالهم ثلاثة أقسام، لكل منهم طريق:

الأول: ذوو الأمزجة الكثيفة والافهام البعيدة التي يعثر عليها محاولة التعليم، ويرق عن إدراكها دقائق التكليم، فطريقهم بالسيادة والنسك من تكرار الصلاة والصوم، وتلاوة القرآن والحج والجهاد وغيرها من الأعمال الظاهرة، لأن هذه الطائفة لصلابة أبدانها وقوة أركانها، وشدة حنانها تتحمل مشاق العبادة، ولا يميل منها بل تصبر وتألفها كالأمور المعتادة، والسالكون في هذه الطريق لا يزالون على هذه المناهج يرتقون لأرفع المعارج، إلى أن تتلطف منهم الكثائف، ويقربون من وطن تنزيلات المعارف، يكشف لهم عن سبحان المحبوب، ويرون عجايب الغيوب، ويتلقون عرايس الأسرار، وهذه الطريق صعبة جداً والواصل بها كاد أن يكون فرداً.

الثاني: والقسم الثاني ذوو الافهام اللاذعية والأخلاق السبعية والهياكل النيرانية، والنفوس الأبية نحو ذوي المناصب والتراتب والمتفلفلين في قيود شهود السبب، والذين لا يملكون نفوسهم في حال الغضب، فطريقهم المجاهدات والرياضات وتبديل الأخلاق وتزكية النفوس والسعي فيما يتعلق بعمارة الباطن، والسالكون بها لا يزالون يرتضون في قلع ما انطبع في نفوسهم من الأخلاق الذميمة إلى أن تذهب تلك الطباع وترجع إلى فطرتها السليمة، ومبناه في ذلك مخالفة ما تهواه ورفض ما تتمناه إلى أن يستوي عنده الرضى والغضب والراحة والولاية والتنزل والترقي وعدمها ، قد خلّصت النفس من أمراضها غاية الخلوص، واستحقت أن يرسم في لوح قبولها حقائق النفوس، وهذه الطريق دون التي في الأهوال والواصلون بها فحول الرجال.

الثالث: والقسم الثالث ذوو النفوس الرضية والعقول الزكية والفطرة الصديقية التي يبدو أن أصحابها في كمال النحافة ونهاية الإعتدال واللطافة، وطريقهم طريق السائرين إلى الله، الطائرين إليه، وهي طريق أهل المحبة السالكين بالجذبة، وملاك السير بها: صفاء القلب، وصدق الحب، والتحقق ظاهراً وباطناً جهراً وسراً بشعائر التصديق، فيخرج عن تحوله وقوته وعقله وفطنته، حتى لو طلب منه بذل المهج لم يجد له حرج فينفتح فيه من روح قاب العيان ويتحقق بقوله: كل من عليها فانٍ، وهذه الطريق في غاية السهولة بالنسبة

لأهل المخطوبين لجمال وصلها فربما وصل السالك بها في نفس فسبق واندرس من عفا بالمجاهدة.

الفصل التاسع عشر:

العزلة وثمرتها وآفاتها ونجاتها

وأما العزلة فأنك إذا أردت الوصول إلي الله فاستعن بالله واجلس على بساط الصدق مشاهداً، ذاكراً بالله، ورابط قلبك بالعبودية المحضة على سبيل المعرفة، ولازم الذكر، والمراقبة، والتوبة، والإستغفار وقل الله الله مثلاً مراقباً لقولك بالتقوى بترك الدفع عن نفسك والجلب لها، وتجد ذلك في آيتين من كتاب الله تعالى:

﴿أمن هذا الذي هو خير لكم ينصركم﴾[1] هذه من الدفع

﴿أمن هذا الذي يرزقكم أن أمسك رزقه﴾[2] من الجلب

ووصف الذكر أن تذكر بلسانك وتراقب بقلبك، فما ورد عليك من خير من الله قبلته، وما ورد عليك من ضده كرهته راجعاً إلى الله في الدفع والجلب، كما وصف وإياك أن تدفع أو تجلب لنفسك شيئاً إلاّ بالله، فإن خطر في بالك شيء من ذنب أو عيب أو نظر إلى عمل صالح أو حال جميل فبادر إلى التعرية من الجميع.

---

(١) ٦٧/٢٠، سورة الملك، الآية ٢٠

(٢) ٦٧/٢١، سورة الملك، الآية ٢١

أما الجلوس على بساط الصدق فتحقق أوصافك من الفقر والضعف والعجز والذلّة، واجلس عليها ناظراً لأوصافه تعالى من القوة والقدرة والعزة، وأفن بأوصافك العبودية بأوصافه الربوبية، وقل يا غني يا قوي يا قدير يا عزيز من للفقير غير الغني، من للضعيف غير القوي، من للذليل غير العزيز، من للعاجز نميز القدير فاجلسني على بساط الصدق واكسني لباس التقوى الذي هو خير وهو من آياتك، واحجبني بعظمتك عن كل شيء هو لك، واملأ قلبي بمحبتك حتى لايكون فيه متسع لغيرك، إنك على كل شيء قدير.

الدخول في العزلة:

هذه أسماء النصرة عند الدخول في العزلة فاستمسك بها ولا تعجل في شيء من أمورك وقل: بسم الله وبالله ومن الله وعلى الله فليتوكل المتوكلون، وهذه أسماء الرضى وقل لسعة الصدر مما يرد عليك من الضيق في العزلة: حسبي الله، أمنت بالله، رضيت بالله، توكلت على الله، لا قوة إلاّ بالله. وقل في بعض مناجاتك وسؤالك: يا من وسع كرسيهٔ السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم أسألك الإيمان بحفظك إيماناً يسكن به قلبي من همّ الرزق وخوف الخلق وأقرّب بقدرتك قرباً تمْحقُ به عن كل حجاب محقته عن ابراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا سؤاله منك وحجبته بذلك عن نار عدوك وكيف لا يحجب عن مضرّة الأعداء مَنْ أَغْنَيْتَهُ عن منفعة الأحباء. كلاّ إني أسألك أن تغنيني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقربي شيء ولا يبعده عني إنك على كل شيء قدير.

ثمرة العزلة

اعلم أن ثمرة العزلة الظفر بمواهب المنة وهي أربعة:

كشف الغطاء وتنزلة الرحمة، وتحقيق المحبة، ولسان الصدقة في الكلمة، قال الله تعالى: ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له﴾[٣] (الآية)

آفات العزلة

وأما آفاتها في العوام القاصدين إلى الله على سبيل المعرفة والإستقامة في سلوك العلم إلى الله فأربع أيضاً:

تعلّق النفس بالأسباب، وركوب النفس إلى الجهة المخصوصة من الإكتساب، واكتفاء العقل بما يحصل له من الإضطراب، وخطرات العدو بالأماني الصادرة عن المراد.

خواص العزلة

أما في الخواص فأربعة أيضاً: الإستئناس بالوسواس، والتحدث بالرجوع إلى الناس، والتحديد في الوقت وهو من إمارات الإفلاس، وملاقات هواتف الحق على زعمه بالمعهود من الحواس.

ولعل آفة سبيل في الجهاد بالرد إلى أصل التوحيد والمعرفة، والحمل على سبيل الإستقامة.

عارض الإكتساب

فإذا عرض لكل عارف من جهة التعلق بالأسباب والركون إلى الجهة المخصوصة في الإكتساب، فأرجعها إلى أصل المعرفة بالسوابق فيما قسم لها أو أجري لها وقل لها اتخذت عند الله عهداً أنك لن

(٣) ١٩/٤٩، سورة مريم، الآية ٤٩

ترزقني إلاّ بهذا السبب أو من هذه الجهة، وضيف[٤] عليها بالمعرفة، وغرّقها في بحر التوحيد، وقل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولذا قالوا غرّق الدنيا في بحر التوحيد قبل أن تغرق، وإن عرض عارض من جهة اكتفاء العقل بما حصل لك من علم أو عمل أو نوراً أو هدى أو خطاب بنجوى فلا تغفل عن السابقة والخاتمة، ولا بد من فعل الواحد المختار يفعل ما يشاء ولا يبالي بحسنة المقبل ولا بسيئة المدبر.

عارض الضّد

وإن عرض لك عارض من خطرات العدو الصادرة عن المراد، والمراد بالعبودية المحضة وجود الحق بلا سبب من الخلق، فالله تعالى يقتضي منك أن تكون له عبداً، وتحب أنت أن يكون لك رب، فإن كنت من حيث يرضى لك رباً من حيث ترضى ولا يدَعُك لغيره من الحقائق فكيف بالأماني، فأتقن واستعز واصبر إن الله يحب الصابرين.

وإذا كنت من الخواص وعرض لك في معرفتك الوسواس بما يناسبه العلم من طريق الإلهام والكشف من حيث التوهم فلا تقبل وارجع إلى حق المقطوع به من كتاب أو سنة.

واعلم أن الذي عارضك لو كان حقاً في نفسه واعرضت إلى حق بكتاب الله أو بسنة رسوله، لما كان عليك عيب في ذلك، لأنك تقول إن الله قد ضمن لنا العصمة في جانب الكتاب والسنة ولم يضمنها في جانب الكشف والإلهام فكيف تقبل ذلك، ولو قبلت ذلك بطريق الإلهام لم تقبله إلاّ بالعرض على الكتاب

(٤) ضيف، لفظة عامية المقصود فيها أضف أو زد عليها.

والسنة، فإذا لم تقبله إلاّ بها في ذلك تأنس بالوسواس، واحفظ هذا.

عارض التحدث

وإن عرض لك عارض من التحدث بالرجوع إلى الناس لتعرض عليهم ما أنت فيه فأنت معهم لم تخرج عنهم بشيء ولا تقتدر باعتزال بدنك والقلب معهم، فاهرب إلى الله فإن من هرب إلى الله آواه الله وحفظه، وصفة الهروب إلى الله بالكراهة لجانبهم والمحبة لجانب الحق باللجوء والإعتصام به، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى الصراط المستقيم.

عارض التحديد

وإن عارض لك عارض من التحديد فجاهده بالعوارض الممكنة في العلم المحايل من ذلك مما يجوز أن يكون، واصرف همتك إلى الله بالتقوى كي يجعل لك من ذلك مخرجاً ويرزقك من حيث لا يحتسب، فإن جاذبتك هواتف الحق وآفاتها الإستشهاد بالمحسوسات على الحقائق المغيبات، ولا تردها إلى ذلك فتكون من الجاهلين، ولا تدخل في شيء من ذلك بعقلك وكن عند ورودها كما كنت قبل ظهورها حتى يتولى الحق بيانها وإيضاحها ويتولى هداك وهو يتولى الصالحين.

الفصل العشرون:

الجهاد بالعدو والشيطان والغلبة

وأما الجهاد بالعدو، فمن أراد أن لا يكون الشيطان عليه سبيل فليصحح الإيمان والتوكل والعبودية للّه بالفقر، واللجوء والإستعاذة، قال اللّه تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون﴾[1] وقال ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾[2] وقال ﴿وأما ينزعنك من الشيطان نزع فاستعذ بالله﴾[3].

وتصحيح الإيمان بالشكر على النعماء والصبر على البلاء والرضا بالقضاء، وصحة التوكل بهجران النفس ونسيان الخلق، والتعلق بالحق وملازمة الذكر، وإذا عرض لك عارض يصدك عن اللّه فاثبت.قال اللّه تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا اللّه كثيراً لعلّكم تفلحون﴾[4]

---

(١) ١٦/٩٩، سورة النحل، الآية ٩٩.
(٢) ١٧/٦٥، سورة الأسراء، الآية ٦٥.
(٣) ٧/٢٠٠، سورة الأعراف، الآية ٢٠٠.
(٤) ٨/٤٥، سورة الأنفال، الآية ٤٥.

وتصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف والذل والمسكنة، وأضدادها أوصاف الربوبية، فما لك وما لها، فلازم أوصافك، وتعلّق بأوصاف اللّه، فقل في بساط الفقر الحقيقي يا غنيّ من للفقير سواك، وفي بساط العجز قل يا قدير من للعاجز سواك، وفي بساط الضعف قل يا قويّ من للّضعيف سواك، وفي بساط الذل قلّ يا عزيز من للّذليل غيرك، تجد الإجابة كأنها طوع يدك، واستعينوا باللّه واصبروا إن اللّه مع الصابرين، ومن أخلد إلى أرض الشهوات واتبع هواه ولم يساعد نفسه إلى التخلي فعبوديته في أمرين:

الأول: معرفة النعم من اللّه، فيما وهب اللّه له من الإيمان والتوحيد وسائر الإحسان إذ أحبّه اللّه وزيّنه في قلبه وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان، فتقول أنعمت عليّ بهذا وسميتني راشداً فكيف أيأس منك وأنت هديّتني بفضلك، فإن كنت متخلفاً فأرجو أن تقبلني، وإن كنت زائفاً فاهدني.

والثاني: اللّجوء الإفتقار دائماً وتقول سلّمني ونجّني وخلّصني، وأنقذني فلا طريق لمن غلب عليه الهوى إلاّ هذا.

محازن الشيطان

وقال الشاذلي رحمه الله: محازن الشيطان أربعة: إما أن تجلس متفكراً في ما يقرّبك إلى الله فتأتيه، أو متفكراً في ما يبعدك عنه فتجفيه، وإما أن تجلس متفكراً في ما سبق من حسن عملك فتشكر وتستغفر، أو متفكراً في ما سبق من عيوبك فستغفر وتشكر، وقال رحمه الله: إذا أردت أن تغلب العدو، فعليك بالإيمان والتوكل

وصدق العبودية والإستعاذة بالله من نزغاته وأقرأ الآيات السابقة، وقال رحمه الله: إذا اتخذ الله ولياً والشيطان عدواً قد استرحت، وقال (رح) أتريد أن يغنيك الله عن الناس حتى يغني بك من أحب أو توسل أو دعا أو سأل، قيل: كيف لي بذلك، قال : لا تتخذ منهم عدواً ولا حبيباً واتخذ الله حبيباً، قيل: كيف بالعدواة في الله والمحبة فيه. قال: ذلك بالله لا بالنفس ولا بالحظ، فإن عاديت وأبغضت بالعلم فاعط العلم حقه ولا تتخذ الشيطان ولياً، فإذا أحببت بالعلم فأصحبه معك ما وافق الطاعة، وإن خالفت أبغضت بالعلم ما دام مع المخالفة فتحبه به وتأتيه لمخالفته به، فتنبهه في هذا النوع وكن من الشاكرين.

الفصل الواحد والعشرون:

الجهاد بالنفس والهوى والغلبة عليها

وأما الجهاد بالنفس فإن مراكز النفس أربع: مركز للشهوة في المخالفات، ومركز للشهوة في الطاعات، ومركز في الميل إلى الراحات، ومركز في العجز عن أداء المفروضات. فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد. قالوا: إذا أردت الجهاد بالنفس فاحكم عليها بالعلم في كل حركة، واضرب بها بالخوف عند كل خطرة، واسجنها في قبضة الله أينما كنت، وأشك إلى الله كلما غفلت، فهي التي لم تقدر عليها قد أحاط الله بها، فإن سخرت لكم في قبضة ما فجدير أن تذكروا نعمة الله عليكم وتقولوا: سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له متعرفين.

وقال الشاذلي: رأس النفس إرادتها ويداها، علمها وعقلها، ورجلاها، تدبيرها، واختيارها، وقال: مدت النفس بالعلم والمعرفة والإقتداء بالكتاب والسنّة، وقال: إن من أعظم الكربات عند الله مفارقة النفس بقطع إرادتها وطلب الخلاص منها ما تهوي لما يرجى من حياتها، وإن من أشقى من يحب أن يعامله الناس لكل ما يريد

وهو لا يجد في نفسه بعض ما يريد، فطالب نفسك بإكرامك لهم ولا تطلبهم بإكرامهم لك ولا تكلف إلاَّ نفسك.

وقال: ليس من شيء أشد وأشق في العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعاني وإعطاء الحروف حقها مع إرادة وجه الله تعالى، وهو موضع الإخلاص والعزيمة على العمل بها، وبه يرجى وهو موضع الصدق، ونهوض السر عن الدنيا وعن كل شيء سوى المولى، وهو موضع النيّة.

وقال: حاكياً عن أستاذه: الأنفس ثلاث:

نفس لم يقع عليها البيع لحريتها، ونفس وقع عليها البيع لشرفيتها، ونفس لم يقع عليها البيع لخسيتها[1].

فالتي لم يقع عليها البيع لحريتها، أنفس الأنبياء، والتي لشرفيتها أنفس المؤمنين والتي لخسيتها أنفس الكفار.

وقال: للأستاذ فإن أبا بكر وعمر (رضي) قد تقدم منهما الشرك. قال: هما على الحرية وإنما هما كمن أسر وهما أحرار.

وقال: قد آيست من منفعة نفسي لنفس فكيف لا أيأس من منفعة غيري لنفسي. رجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي.

وقال: يا عبد الله انتزع من محادثة النفس وإرادة الشيطان وطاعة الهوى تكن صالحاً واتق في الخاطرة والهمة والكفرة[2] وحركة السر تكن صديقاً، وإن تكرر عليك شيء من ذلك فاهجر الأسباب إلأوطاب والأخوان ومواقع الفتن تكن مهاجراً، وإن واقعت شيئاً من ذلك فتب إلى الله واستغفره والجأ إليه واستفت به

(١) خسيتها من خسيس: ذليل

(٢) الكفرة أي الظلمة.

تكن مؤمناً، واتخذ الطهارة والصوم والصلاة والصبر والتلاوة والذكر والتبري من الحول والقوة تكن سالماً، وإن غلبت فاتخذ الإيمان حصناً، وإن دخل عليك فسلم الأمر، وعليك بالتوحيد والإيمان والمعرفة والمحبة لله.

وقال(٣): سألت أستاذي عن قول النبي (عم) المؤمن لا يذل نفسه. قال: لهواه، وقال: يوصف بالذم والبخل من تمنع لأجل شيء من هذه الأوصاف: خوف الفقر وسؤ الظن والإحتقار لحرمة المؤمنين وإيثار النفس والهوى.

وقال: أرحم الناس بالناس عبد يرحم من لا يرحم نفسه.

علاج المنقطع

قال هل تدري ما علاج من انقطع عن المعاملات ولم يتحقق بحقايق المشاهدات. علاجه أربع: طرح النفس على الله طرحاً لا يصحبه الحول والقوة، والتسليم لأمر الله تسليماً لا يصحبه الاختيار مع الله، هذان العلاجان باطناً، وفي الظاهر: منع الجوارح عن المخالفات، والقيام بحقوق الواجبات.

ثم يقعد على بساط الذكر بالإنقطاع إلى الله عن كل شيء سواه وأذكر إسم ربك وتبتّل إليه تبتيلاً.

(٣) وقال «الشاذلي».

الفصل الثاني والعشرون:

الإجتناب من المعصية والخبث والكرامة

وأما الإجتناب من المعصية فمن أراد أن لا يضره ذنب فليقل، أعوذ بك من عذابك يوم تبعث عذابك، وأعوذ بك من عاجل العذاب ومن سوء الحساب فإنك لسريع العقاب، وأنك لغفور رحيم، ربي إني: ظلمت نفسي ظلماً كثيراً فاغفر لي ورتب عليّ لا إله إلاّ أنت، سبحانك أني كنت من الظالمين، وإذا أراد ألاّ يقصد لك قلب، ولا يلحقك هم ولا كرب، ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من قول: سبحان الله العظيم، لا إله إلاّ الله، اللهم ثبت علمها في قلبي واغفر لي ذنبي واغفر للمؤمنين والمؤمنات، وقل: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

وقال الشاذلي: من فارق المعاصي في ظاهره، ونبذ حب الدنيا في باطنه، ولزم حفظ جوارحه، ومراعات سرّه أتته الزوائد من ربه ووكل به حارساً يحرسه من عنده وجمعه في سره وأخذ الله بيده وخفض ورفع في جميع أموره، والزوائد من العلم واليقين والمعرفة. وقال: رأيت النبي (صلعم) يقول: هذه للسنة من آمن بالله واليوم الآخر وأعرض عن الدنيا وأقبل على الأخرى وأعزم أن تلا يعصي

الله وأن عصاه استغفر وتاب وأناب، فقلت: ما تاب وأناب. فقال: تاب من معصية الله، وأناب إلى طاعته. وقال: إذا أردت خير الدنيا والآخرة وكرامة المغفرة والرحمة والنجاة من النار والدخول في الجنة فاهجر المعصية، وأحسن مجاورة أمر الله واعتصم واستعن بالله، واستغفر الله وتوكل عى الله، إن الله يحب المتوكلين.

التوكل

قال له القائل: إشرح لي كيف أتوكل على الله واعتصم واستعين به. قال: من تعلق بشيء أو استند إليه أو توكل عليه أو اعتمد على شيء سواه فليس بمتوكل. فالتوكل وقوع القلب والنفس والعقل والروح والسر والأجزاء الظاهرة والباطنة، على الله دون شيء. والإعتصام بالله، والتمسك به، واللجوء إليه، والإضطرار له. فاحذر في الإعتصام أن ترى قدرة أو إرادة حكماً أو أثراً في كل شيء على شيء أو في شيء أو من شيء أو لشيء.

الإستعانة

وأما الإستعانة بالله فأن لا تتخذ العلم سبباً، ولا المسبب إليه سبباً، ولا الأول والآخر وغرق الكل في العلم والقدرة والإرادة والكلمة، كما غرقوا الدنيا والآخرة في السابقة، والسابقة في الحكم، والحكم في العلم.

الهجر من المعصية

وأما الهجر من العصية فاهجر حتى تنسى، وحقيقة الهجر نسيان المهجور، وهذا في صورة الكمال، فإن تكن كذلك فاهجر على المكابدة والمجاهدة، فإن لا يضيع أجر من أحسن، وأما حسن مجاورة أمر الله فبالذكر والفكر والحفظ والمبادرة والتفقه لأمر الله،

وإذا عارضك ذنب أو نقص أو سهو أو غفلة فاستغفر الله من ظلمك لنفسك ومن سوء عملك بعظيم جهلك ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً.

الفصل الثالث والعشرون:

الخلاص من الدنيا وما فيها ومكرها

وأما الخلاص من الدنيا وما فيها:

فاعلم أن من أخذ من الدنيا حلالاً بشرط الأدب سلم قلبه من الكدر ومن نار الحجب، والأدب فيه نوعان:

أدب السنة وأدب المعرفة

أدب السنة: الأخذ بالعلم على سبيل القصد وحسن النية لله

أدب المعرفة: مصحوب بالاذن والأمر والقول والإشارة الثانية من الله تعالى فالإشارة تفهيم من الله لعبده من نور جماله وجلاله.

قال الشاذلي: إلهي إن الدنيا حقيرة: حقير ما فيها إلاّ ذكر الله، والآخرة كريمة: كريم ما فيها، وأنت الذي حقرت الحقير وكرّمت الكريم فكيف يكون كريماً من طلب غيرك ثم كيف يكون زاهداً من اختار لدنياه معك، فحققني بحقائق الزهد حتى استغني عن طلب غيرك وبمعرفتك حتى لا أحتاج إلى طلبك.

إلهي كيف يصل إليك من طلبك أم كيف يفوتك من هرب

منك فاطلبني برحمتك ولا تطلبني بنقمتك يا رحيم يا منتقم إنك على كل شيء قدير.

وقال لا كبيرة عندنا في إثنين:

حب الدنيا بالإيثار والمقام على الجهل بالرضا، لأن حب الدنيا رأس كل كبيرة، والمقام على الجهل أصل كل معصية.

وقال: لأن يغنيك الله عن الدنيا خير ممن يغنيك بها فوالله ما استغنى بها أحد قط، وكيف يستغني بها بعد قوله تعالى: قل متاع الدنيا قليل. وقال: دخل عليّ شخص وأنا بالمغرب في مغارة فقال لي: عندك الكيميا فعلمني، فقلت له أعلمها لك ولا أغادرك منها حرفاً إن كنت قابلاً وما أراك قابلاً فقال: أي والله أقبل فقلت له: أسقط الخلق من قلبك واقطع الطمع من ربك أن يعطيك غير ماسبق لك فقال لي: ما أطيق هذا. فقلت له: ألم أقل لك انك لا تقبل. انصرف.

وقال: أربعة أشياء كن بها وادخل متى شئت:

لا تتخذ من الكافرين ولياً، ولا من المؤمنين عدواً، وارتحل بقلبك عن الدنيا وعن نفسك في الموتى، واشهد لله بالوحدانية وللرسول بالرسالة وحسبك عملاً.

قال: وإن آمنت بالله وملائكته ورسله، وبالقدر كله، وبالكلمات المتقدمة عن كلمته، فلا تفرق بين أحد من رسله وتقول كما قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، من كان بهذه الأربعة ضمن الله له أربعة في الدنيا وأربعة في الآخرة وأربعة في الدين.

أما في الدنيا: الصدق في القول، والإخلاص في العمل، والرزق كالمطر، والوقاية من الشر.

وفي الآخرة: المغفرة العظمى، والقربة الزلفى، ودخول جنة المأوى واللحاق بالدرجة العليا.

وفي الدين: الدخول على الله، والمجالسة معه، والسلام منه، ورضوان من الله أكبر.

فإن أردت: الصدق في القول فأعن على نفسك بقرأة إنا أنزلناه

وإن أردت: الإخلاص في العمل فأعن على نفسك بقرأة قل هو الله

وإن أردت: السعة في الرزق فأعن على نفسك بقرأة قل أعوذ برب الناس

وقال: رأيت النبي (صلعم) يقول أربع ليس معهن من الفقه لا قليل ولا كثير: حب الدنيا ونسيان الآخرة وخوف الفقر والناس.

وقال: أخسّ الناس منزلة من بخل بالدنيا على من لا يستحقها فكيف بمن بخل بها على مستحقها.

وقال: رأيت كأني في المحل الأعلى فقلت: يا ألله أي الأحوال أحب إليك وأي الأقوال أصدق لديك وأي الأعمال أدلّ على محبتك فوفقني واهدني.

فقيل لي: أحب الأحوال: الرضا بالمشاهدة

وأصدق الأقوال: قول لا إله إلاّ الله على النظافة

وأدلّ الأعمال على محبتي: بغض الدنيا واليأس من أهلها مع الموافقة.

وقال: انتزع عن حب الدنيا بالإيثار وعن المعصية بترك الإصرار،

وداوم على مسألة الرحمة اللدنية واستعن بها على الفعلية، ولا تغلق قلبك بشيء تكن من الراسخين في العلم الذين تلا يغيب عنهم سر ولا علم.

فإن خطرت لك خطرات الدنيا والمعصية فألقها تحت قدميك حقارة وزهداً واملأ قلبك علماً ورشداً ولا تشوّق فتغشاك ظلمتها وتنحل أعضاؤك لها، ثم لا بد من معانقتها إمابالهمة والفكرة أو بالإرادة والحركة. فعند ذلك تُجبر اللبّ وتكون كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران وله أصحاب يدعونه إلى الهدى قل: إن هدى الله هو الهدي، ولا هدي إلا لمن اتقى، ولا تقوى إلاّ لمن أعرض عن الدنيا، ولا يعرض عن الدنيا إلاّ من هانت عليه نفسه، ولا تهون النفس إلاّ لمن عرفها، ولا يعرفها إلاّ من عرف الله، ولا يعرف الله إلاّ من أحبه، ولا يحب الله إلاّ من اصطفاه الله واجتباه وحال بين نفسه وهواه.

وقل: يا ألله، يا قدير، يا مريد، ياعزيز، يا حكيم، يا حميد، يا رب، يا ملك، يا موجود، يا هادي، يا منعم هب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب وانعم على عبدك بنعمة الدين وبنعمة الهداية إلي الصراط المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض إلاّ إلى الله تصير الأمور بحرمة هذا الإسم الأعظم آمين.

وقال: إذا توجهت إلى شيء من عمل الدنيا والآخرة فقل يا قوي يا عزيز، يا عليم، يا قدير، يا سميع، يا بصير، وقال إذا ورد عليك فريد من الدنيا والآخرة فقل حسبنا الله، سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون، وقال رأيت الصديق (رض) في النوم فقال لي هل تدري ما علامة خروج حب الدنيا القلب.

فقلت: ماهو. قال: تركها عند الوجد والوجدان والراحة منها عند الفقد. فالدنيا التي لا حساب عليها في الآجل ولا حجاب معها في العاجل هي التي لا إرادة لصاحبها فيها قبل وجودها ولا معها لها مع وجودها، ولا أسف عليها عند فقدها، والحر الكريم من يأخذها منه على المواجهة ويدعها به على المواجهة لا أثر ولا غبار في قلبه فتفكر.

الفصل الرابع والعشرون:

المصائب والحقوق والرجاء

وأما المصائب فاعلم أن المغبون في الدنيا والآخرة من أصحب مصائب الأجور بمصائب الثبور والرضاء عن الله ثوابه الرضا من الله فمن يرضى عن الله يرضى عنه الله، ومن يسخط عن الله يسخط الله عنه. قال الله تعالى: ﴿كرهوا ما أنزل الله فاحبط أعمالهم﴾[١] ذلك بأنهم قوم لا يعلمون.

وقال الشاذلي: حدّ السخط إرادة ما لم يرد الله بالحكم، وقال: من آمن بالقسمة حرام عليه أن ينازع في الحكم، وقال كل مصيبة يرجى ثوابها ولايخاف عقابها فليست بمصيبة إنما المصيبة من لا يرجى ثوابها، ويخاف عقابها، وقال: على كل مصيبة نزلت إنا لله وإنا إليه راجعون، أللهم أجرني في مصيبتي، وأعقبني خيراً منها قال: فألقى إليّ أن أقول واغفر لي سيئها وما كان من توابعها وما اتصل بها وما هو محشوفيها. وكل شيء كان قبلها وما يكون بعدها، فقلتها فهانت عليّ فلو أن الدنيا كلها كانت لي في ذلك

---

(١) ٤٧/٩، سورة محمد. الآية ٩.

الوقت وأصبت فيها لهانت عليّ ولكان ما وجدت من برد الرضى والتسليم أحب إليّ من ذلك كله.

أصول التقوى

وقال: رأيت في النوم صائحاً يصيح من جو السماء إنما تُساق لرزقك أو لأجلك أو لما يقضي الله به عليك أو بك أو لك وهي خمسة لا سادس لها. فاتقِ الله أينما كنت ولا تعدل بالتقوى شيئاً فإن العاقبة للمتقين والله يحب المتقين، فبحق يحبهم ويحبونه، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم، أعوذ بالله من سوء القضاء ومن جزع النفس عند ورود البلاء ومن الفرح والحزن والهم والغم في الشدة والرخاء.

الفصل الخامس والعشرون:

الشر ومتابعة الهوى والسوى

أصول الشر

وأما الشر فأصوله ستة:

- استبدال إرادة الخير بإرادة الشر
- واستبدال التعلق بالله بالتعلق بمخلوق دون الله
- واستبدال حسن الظن بالله وكرمه بسوء الظن بالله ورسوله وكمون الدعوى
- وحب الدنيا
- ومتابعة الهوى.

تحصين القلب

قال الشاذلي: حصون القلب من الشر أربعة: ارتباط القلب مع الله وبغض الدنيا وأن لا تنظر بعينك إلى ما حرّم الله، وأن لا تنقل قدميك حيث لا ترجو ثواب الله.

في الصلاح

وقال: الصلاح أسهل شيء لمن يتره الله إليه لا تعلم في نفسك إرادة من الشر وأنت من الصالحين.

وقال: رأيت جماعة من أصحاب رسول الله (صلعم) وجماعة من الأجناد هذا الوقت فجعلت أنظر تارة إلى هؤلاء وتارة إلى هؤلاء، فخرج إليّ واحد من أصحاب رسول الله فقال:

أليس في ذكر أصحاب رسول الله (صلعم) وأعمالهم مايكفيك عن ذكر هؤلاء وأفعالهم، لكن هم الرزق، وخوف الخلق، ونصرة النفس، وإرادة الشر، واتباع الهوى، قطع الخير كله، ونصرة النفس إجابتها إلى محابّها وقال: إذا أردت أن تغلب الشر كله، وتلحق الخير كله ولا تسبق سابق وان عمل ما عمل، فقل يا من له الأمر كله وبيده الخير كله أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله، فإنك أنت الله الغني الغفور والرحيم أسألك بالهادي محمد (صلعم) إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السماوات ومافي الأرض، إلاّ إلى الله تصير الأمور مغفرة تشرح بها صدري، وتضع بها وزري، وترفع ذكري، وتيسر بها أمري، وتنير بها فكري، وتقدس بها سري فتكشف بها ضدي وترفع بها قدري فإنك على كل شيء قدير.

الفصل السادس والعشرون:

العقوبات والحجاب والهلاك

وأما العقوبات فاعلم أنها أربع:

عقوبة بالعذاب، وعقوبة بالهلاك، وعقوبة بالإمساك، وعقوبة بالحجاب.

أ ـ فعقوبة العذاب من جهة المحرمات

ب ـوعقوبة الهلاك إهلاك التر في المطلوب تكون من جهة الإستعجال والقلق فربما يدل له ذلك فيهلك

ج ـ وعقوبة الإمساك تكون من جهة المراكنات

د ـ وعقوبة الحجاب هي لأهل الطاعة، فتكون من سوء الأدب.

وقال الشاذلي: قال الله تعالى لا تحجب بالفضل عن المتفضل فقلت كيف يأتي هذا. قال: إعلم أنه سبق وجودك، ووجود علمك، والشكر عليك، وسبق وجودك ما ظهر تفضله عليك، فإن كنت بالفضل فأنت محجوب بالفضل عن المتفضل، وإن كنت

عنده وبه فلا سابق ولا مسبوق، وأنت كنت شاهداً من وجودك إلى وجوده، فأنت محجوب بالعلم.

وقال: لا يكون خطّك من دعائك الفرح بقضاء حاجاتك دون الفرح بمناجات محبوبك فتكون من المحجوبين.

الفصل السابع والعشرون:

الشفاعة والمدد وحسن الحياء

وأما الشفاعة، فاعلم أن الشفاعة انصباب النور على جوهر النبوّة فتنبسط من جوهر النبوّة إلى الأنبياء والأولياء، وتندفع الأنوار من الأنبياء والأولياء إلى الخلق، وقال الشاذلي لرجل قد أحاط به الهمّ والغمّ حتى كاد يمنعه من الأكل والشرب والنوم: يا إبن فلان إسكن لقضاء اللّه وعلق قلبك باللّه ولا تيأس من روح اللّه وانتظر الفرج وإيّاك والشرك باللّه والنفاق مع رسول(عم) وسؤ الظن، فإنها موجبة لدوائر السؤ من اللّه وغضبه ولعنته وإعداده ناره، وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً فعليك بحسن الحياء، قال: فرأيته في المنام أسيراً مربوطاً بين يديّ رسول اللّه وهو يتلو: يا أيّها النبيّ قل لمن في أيديكم من الاسرى أن يعلم اللّه ما في قلوبكم خيراً يؤتيكم، خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم واللّه غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا اللّه من قبل، فأمكن منهم واللّه عليم حكيم فقلت:

النفاق

وما النفاق مع الرسول(عم) قال: التظاهر بالسنّة واللّه يعلم منك غير ذلك وقلت:

الشرك

وما الشرك بالله. قال: اتخاذ الأولياء والشفعاء دون الله، ما لكم من دون الله من ولي ولا شفيع، أفلا تتذكرون أم اتخذوا من دونه شفعاء قل: أو لو كانوا لا يملكون شيئاً، ولا يعقلون، وقال عليه السلام: أشفعوا تؤجروا بحق حيث أمركم الله ورسوله بحق، وقد بين كل حق البيان بقوله: تؤجروا فمن شفع في المعصية، أو في طلب الجاه والمنزلة، أو في طلب الدنيا بالرغبة أيؤجر بل يعذب على ذلك، ويتوب الله من يشاء بالله.

سوء الظن

وقلت فما سوء الظن بالله قال: من رجى غير الله واستنصر بغير الله شيئاً الذي من الله، ان ينصره فقد ساء ظنه بالله. من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ.

الفصل الثامن والعشرون:

القبض والبسط وأسبابهما

وأما القبض والبسط فقالوا: إنهما يتعاقبان كتعاقب الليل والنهار، والعبد قلّما يخلو منهما، والحق يقتضي منك العبودية فيهما، فمن كان وقته القبض فلا يخلو أن يعلم بسببه أولاً، وأسباب القبض ثلاثاً:

أسباب القبض

أسباب القبض ثلاثاً: ذنب أحدثته، أو ديناً ذهب عنك أو نقصت لك، أو ظالم يؤذيك في مالك أو نفسك أو عرضك أو عيالك أو جاهك أو دينك أو غير ذلك، فإن ورد من هذه الأسباب فالعبوديّة أن ترجع إلى الشرع. أما في الذنب فبالتوبة والأنابة وطلب الاقالة وأما في ما ذهب عنك أو تقص لك، فبالسلم والرضا والإحتساب، وأما في ما يؤذيك به ظالم، فبالصبر والسكوت والثبات، فاحذر أن تظلم نفسك فتنتصر لها فتفدي الحق في حقّ الظالم فتجمع عليك ظلمان: ظلم غيرك لك، وظلم لنفسك. فإن فعلت ما الزمت به من الصبر والإحتمال، أثابك سعة الصدر حتى تعفو وتصفح وربما أثابك من نور الرضى ما ترحم به من ظَلَمك،

فتدعو له، فتجاب دعوتك فتلك درجة الصدّيقين والرحماء وتوكّل على الله، وأما إذا ورد عليك القبض ولم تعلم له سبباً فالوقت وقتان، ليل ونهار.

فالقبض أشبه شيء بالليل

والبسط أشبه شيء بالنهار

فإذا ورد عليك القبض بغير سبب فالواجب عليك السكون وهو عن ثلاثة أشياء:

عن الأقوال والحركات والإرادت: فإن فعلت ففي القريب يذهب عنك اللّيل بطلوع نهارك أو يبدو لك نجم تهتدي به أو قمر تستفيء به أو شمس تبصر بها، والنجوم، نجوم العلم والقمر قمر التوحيد، والشمس شمس المعرفة.

وإن تحركت في ظلام ليلك فقل: سلّمنا من الهلاك. واعتبر بقوله تعالى: ومن رحمته جعل لكم اللّيل والنهار (الآية)، فهذا حكم العبودية في القبضين.

أسباب البسط المعلوم

وأما من كان وقته البسط فلا يخلو، أما إليه يعلم له سبب. أولاً فالأسباب ثلاثة أيضاً:

الأول: زيادة الطاعة أو نوال من المطاع كالعلم والمعرفة

الثاني: زيادة في الدنيا بكسب أو كرامة أو هبة أو صلة

الثالث: المدح والثناء من الناس وإقباله عليك وطلب الدعاء منك وتقبيل يدك وأنواع تعظيمك، فإذا ورد عليك شيء من هذه الأسباب فالعبودية تقتضي أن ترى النعمة والمنة عليك من الله في التعاطي والتوفيق فيها

وتيسير أسبابها، واحذر أن ترى شيئاً منها من نفسك وحضّها[1] أن يلازمك خوف السلب فتكون مفتوناً في جانب الطاعة، والنوال من الله.

زيادة في الدنيا

وأما الزيادة من الدنيا فهو نعم كالأول. وخف وخفف مما بطن من آفاتها وغوائلها وأصرافتها وجهة كسبها إلى غير ذلك من الواجبات والمندوبات والمحرمات.

مدح الناس

وأما مدح الناس وسائر التفاهم فالعبودية تقتضي شكر النعمة بما ستر عليك، وخف من الله أن يظهر ذرة مما بطن منك، فيمقتك أقرب الناس إليك.

أسباب البسط المجهول

وأما البسط الذي لا تعرف له سبباً فحق العبودية ترك السؤال والإدلال والصولة على النساء والرجال، إعلم أن الفقد والوجد متعاقبان علينا كتعاقب الليل والنهار، ومدى هذا الأمر على أربعة:

كن شاكراً لينعم الله إذا وجدت، وراضياً عن الله إذا فقدت وباذلاً للفضل إذا نلت، وسالماً وجهك إلى الله في كل أمر إذا اهتديت، فإن حاجوك فقل: أسلمت وجهي لله، ولا تكن عابداً مكايداً ولا زاهداً معانداً، ولا عاصياً متمرداً، ولا مفترياً جاهداً.

فإن حصلت بالأربع الأُوَل فقد دخلت في ثناء الله تعالى بقوله: ﴿شاكراً لأنْعُمِهِ اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم﴾[2].

---

(١) حضّها: أي حثّها، التفسير للمؤلف.

(٢) ١٦/١٢١، سورة النحل، الآية ١٢١.

الفصل التاسع والعشرون:

الإقتداء وشروط المتبوع والتابع

و أما الإقتداء فقالوا عشرة أشياء عظيمة فاحتفظ بهن:

إذا رأيت رجلاً يدعي حالاً مع الله يخرجه عن أمر الشرع، فلا تقربن منه ولا ترجى فلاحه.

وإذا رأيت رجلاً يسكن إلى الرئاسة والتعظيم فلا تقربه واقطع بعدم فلاحه أبداً.

وإذا رأيت فقيراً عاد إلى الدنيا فلو مت جوعاً فلا تقربن منه ولا تركنن إلى رفقته فإن رافقته فاقسي قلبك أربعين صباحاً.

وإذا رأيت رجلاً يستغني بعمله فلا تأمنن جهله

وإذا رأيت رجلاً يرضي عن نفسه ويسكن إلى وقته، فاتهمه في دينه واحذره أشد الحذر

وإذا رأيت رجلاً مريداً يسمع القضيب والملاهي ويميل الراحة فلا ترجى فلاحه

وإذا رأيت فقيراً لا يحضر عند السماع بل يغفل ويشتهي فاعلم أنه قد حرم ذلك بتشويش باطنه وتبديد فهمه.

وقال الشاذلي (رضي) رأيت رسول الله (صلعم) فقلت:

يا رسول الله ما حقيقة المتابعة فقال: رؤية المتبوع عند كل شيء ومع كل شيء وفي كل شيء. وقال: ليس الرجل الكامل من حيا في نفسه وإنما الرجل الكامل من حيا به غيره.

وقال: كل شيخ لم يصل إليك الفوايد منه من وراء حجاب فليس بشيخ.

وقال: من دعى إلى الله بغير ما دعى به رسول الله (صلعم) فهو بدعة

وقال: ثلاثة لا تدعى وواحدة لا تزدري اقتداء فيهن بالنبي (عم) قل لا أقول لكم عندي خزائن الله، ولا أعلم الغيب ولا أقول أني ملك، ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً.

الفصل الثلاثون:

آداب المجالسة والحضرة والحرمة

وأما آداب المجالسة والحضرة فقالوا إن مجالسة الأولياء والأكابر أربع:

الأول: التجنب عن أضادهم والميل والمحبة والتصديق لهم

الثاني: إلقاء السلم بين أيديهم وترك ما يهوى لما يهوون

الثالث: إيثار أقوالهم وأفعالهم وترك التجسس عن حالهم وعقايدهم

الرابع: تعلق الهمة بما تعلقت هممهم بشرط الموافقة في جميع أفعالهم. وآداب الحضرة ثلاثة:

دوام النظر وإلقاء السمع والتوطين لما يرد من الحكم.

وقال الشاذلي: إذا جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والروايات الصحيحة، إما أن تفيدهم أو تستفيد منهم وذلك غاية الربح منهم، وإذا جالست العبّاد والزهّاد فاجلس معهم على الزهد والعبادة وحل لهم ما استمرّوه وذوّقهم من العرفة ما لم يذوقوه،

وإذا جالست الصدّيقين ففارق ما تعلم ولا تنسب لما تعلم تظفر بالعلم المكنون وبفوائد أجرها غير ممنون.

وقال: أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد منها فاجعله والتراب سواء:

الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والانصاف من النفس، وترك الإنتصاف لها.

وأربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب منها فلا يغبن به وإن كان أحدهم أعلم أهل البرية منها:

مجانية الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة أهل الفاقة، ومواظبة الجماعة.

الفصل الواحد والثلاثون:

السؤال والطلب وخصائص الأولياء

وأما السؤال والطلب فقالوا منال السائل ثلاثة:

- سائل يسأل عن التصديق بتحقيق القرب
- سائل يسأل عن عين التحقيق برفع الحجاب
- وسائل يسأل عن النيابة بالفناء عن نفسه.

وقال الشاذلي: إذا سألت فاسأل الله، فإن أعطاك فأشكر، وإن منعك فأرضى عنه. وإياك وكزازة النفس وسوء الظن وغلبة الشهوات، فتُحرم المحبة والمعرفة والرضاء والمغفرة، وتُحجب عن الله، وتُطرد عن المحل الأعلى إلى أسفل من ذلك، ولست تدري أين يرميك من حدود أسفل السافلين.

وقال: أفضل ما يسأل العبد خيرات الدين، وفي خيرات الدين خيرات الآخرة، وفي خيرات الآخرة خيرات الدنيا، وفي خيرات الدنيا خصائص الأولياء، وخصائص الأولياء أربعة:

أوصاف العبودية، ونعوت الربوبية، والإشراف على ما كان ويكون، والدخول على الله في كل يوم سبعين مرة.

والخروج كذلك، فتكسى كل مرة حللاً من الأنوار والتقريب.

وقال: إذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله قبل أن ترفعها لأحد منهم. فإن قضاها لك فاشكره واشكرهم، وإن لم يقضها لك منهم، فأرضى عن الله ولا تنسب شيئاً لأحد منهم، ولا تذم أحداً إلاّ بما ذمّه الله، ولا تمدح إلاّ بما مدحه الله، وإلاّ فأمسك فهو أسلم لك، واعبد الله باليقين ترفع في الدرجات العلى وإن قلّ عملك، وقال أخسر الناس منزلة عند الله في جعل دينه سبباً لقضاء حواجه، وقال إذا كانت لك حاجة وأردت تقضي حاجتك، فأثبت الملك والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة لله تعالى، واجعل فقرك إليه وحاجتك عنده، واحذر أن يمرّ بصر قلبك إلى غير الله فتحجب عنه، بل فوّض إليه، ولا تفرح ولا تحزن، ولا تخف ولا ترجِ، ولا تذل، والمؤمن لا يذل نفسه، وقل بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

الفصل الثاني والثلاثون:

النية والإستخارة والإستشارة

وأما النية والإستخارة فقالوا حقيقة النية عدم غير المنوى عند الدخول، وكما لها الإستصحاب إلى التحام، فمحل النية القلب، ووقتها عند افتتاح الأعمال، وكيفيتها ارتباط القلب مع الجوارح.

ومبنى النية أربع:

القصد والعزم والإرادة والمشيئة، كل ذلك بمعنى واحد.

وللنية صورتان: توجه القلب بحسن التيقظ فيه، والإخلاص في العمل لله ابتغاء ما عنده من الأجر والرضا.

وقال الشاذلي: في قوله (عم) الأعمال بالنيات. فقال إن للنية محلاً، وتوقيتاً، وكيفية ومعنى، فنسألك الصفاء بمحلاتها، والتفيق لأوقاتها، والعصمة في كيفيتها، والتحقيق لمعانيها، ونسألك صحة العقد وحسن القصد وإرادة الوجه والتعظيم لحق الربوبية وإلزام النفس وصفة العبودية.

وقال: في قوله (صلعم): من حسنت نيته صح عمله، فحسن نيتك فيما بينك وبين الله بتوجه القلب بالتعظيم لله، والتعظيم لأمر الله والتعظيم لما به أمر الله، وفيما بينك وبين العباد بتوجه النفوس

بالنصيحة لهم مع القيام بحقوقهم، وترك الخطوط، ونبذ العوارض مع الصبر لله، والتوكل عليه.

الإستخارة

وقالوا: الإستخارة لازم عند كل أمور على كل مريد بكل أخيار، فلا يستخار إلاّ بأمين، وكم عبد أمين على الأموال غير أمين على الفروج، ورُبّ أمين على الفروج غير أمين على الأخلاف، وربّ أمين على الأموال غير أمين على الدين. والأمين على الدين هو الآخذ عن الله ببصيرة اليقين، والمشرف[1] على الأحوال كلها وعلى عواقب الأمور في الدنيا والآخرة.

(١) أشار الكاتب إلى أن أوراد الصادقين: «عشرون» إلاّ أنه أورد عشرة فقط.

الفصل الثالث والثلاثون:

الأعمال والأوراد

وأما الأعمال والأوراد فقالوا: مدار الأعمال على أربعة:

المحبة والإخلاص والحياء والإيمان:

فالمحبة بالخواص والإخلاص بالعلم، والحياء بالتعظيم، والإيمان بالصدق.

وقالوا: أفضل الأعمال أربعة بعد أربعة:

الأربعة الأُول: المحبة لله والرضا بقضاء الله، والزهد في الدنيا، والتوكل على الله،

والأربعة التي تلي والقيام بفرائض الله، واجتناب لمحارم الله، والصمت عما لا يعني، والورع عن ما يلهي.

وقال الشاذلي (رضي): اللهم إني أسألك حسن اللُّب ودوام الذكر والفكر واللجؤ والإفتقار إليك والدعاء لك والإستجابة منك والتقرب منك، والتوكل عليك، والزهد الواقع على الزاد القاطع، والمحبة والرضاء: هذه أمور الصديقين في بداية أمورهم.

أوراد الصادقين: وقالوا أوراد الصادقين عشرون[1]: الصوم والصلاة، والذكر، والتلاوة، وحفظ الجوانح، وذم النفس عن الشهوات، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر على أصول أربعة: الزهد في الدنيا ـ والتوكل على الله ـ والرضاء بقضاء الله ـ والحب الصافي وهو على مبانٍ أربعة: الإيمان والتوحيد وصدق النية وعلو الهمم.

ومن لم يكن فيه أربعة خصال فلا ترجى له فلاحاً وهي:

العلم ـ الورع ـ الخشية لله ـ التواضع لعباد الله.

وقال الشاذلي حاكياً عن أستاذه رضي الله عنهما:

عبادة الصدّيقين عشرون:

كلوا، واشربوا، والبسوا، وانكحوا، واسكنوا، واوضعوا كل شيء حيث أمركم الله، ولا تسرفوا، واعبدوا الله، واشكروه، وعليكم بكف الأذى، وحمل الأذى، وبذل النداء فإنها نصف العقل. وأما النصف الثاني: أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والرضاء بالقضاء، وإن عبادة الله: التفكر في أمر الله، والمشقة في دين الله فهو أسّس العبادة والزهد في الدنيا، ورأسها التوكل على الله، فهذه عبادة الأصحاء.

وإن كنتم مرضى واستشفوا واسترقوا بالعلماء واختاروا منهم الأتقياء الهداة، المتوكلين على الله.

وقال: سألت عن أستاذي في ورد المحققين فقال: عليك بإسقاط الهوى، ومحبة المولى، وأبتِ المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه.

وقال حاكياً في رجل سأل أستاذه الوظائف والأوراد فغضب

(١) في الأصل والإشراف

منه الأستاذ وقال أرسول أنا، فأوجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة، فكن للفرائض حافظاً، وللمعاصي رافضاً، واحفظ من إرادة الدنيا، وحب النساء، وحب الجاه، وأيثار الشهوات، واقنع من ذلك كله بما قسّم الله تعالى لك.

وإذا خرج لك مخرج الرضا فكن لله شاكراً، وإذا خرج مخرج السخط فكن عنه صابراً وحب الله قطب تدور عليه الخيرات، واصل جامع لأنواع الكرامات وحصون ذلك كله أربعة:

صدق الورع، وحسن النية، وإخلاص العمل وصحبة العلم.

ولا تتم لك هذه إلاّ بصحبة أخ صالح وشيخ ناجح.

وقال حاكياً عن أستاذه إنه سمعه يقول لرجل إستأذنه في المجاهدة لنفسه فأجاب بقوله: لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر.

الفصل الرابع والثلاثون:

العبّاد والزهّاد وأصولهم وأحوالهم

أما العبّاد والزهّاد فقالوا: بنوا أمرهم على عشرة أصول:

على الصوم والصلاة والذكر والتلاوة والدعاء والإستغفار والتضرع والبكاء واعتزال النفس وتحصيل القوت من حلال وبساطهم الذكر.

والزاهد يزيد عليهم بأربعة أوصاف:

الزهد في الدنيا عموماً وفي الناس خصوصاً

بكشف الغيب الملكوتي

والتحيز للأحوال

ومقامات الرجال

وبساطهم الفكر.

وأما الأولياء فلهم درجات بسط لهم في: العلم والمعرفة والنور والمحبة والتوحيد واليقين وكشف الغيب والرسوخ فيه والتحقق بالفناء، وبأثار أنواع البقاء، وبساطهم المحبة الفرعية.

وأما الصدّيقون: فلهم في بدايتهم خمسة أحوال:

علوّ الوجود عن أسرارهم.

كشف أمر الدين لأرواحهم

مراقبة القلوب

ومراعات العقول

وحفظ النفوس

وأما الخمسة التي في نهايتهم: فالتحقيق في المحبة والكف والصمت والثبات في الخلة والإتصاف بالبقاء. وبساطهم المحبة الأصلية.

الفصل الخامس والثلاثون:

الطاعات والإطاعة

وأما الطاعات والإطاعة (أي الطاعة وهو موافقة الأمر عندنا وعند المعتزلة في موافقة الإرادة). فقالوا:

لا تؤخر طاعة وقت لوقت فتعاقب بفواتها ويفوت غيرها أو مثلها جزاء لما كفّر من ذلك الوقت فإن لكل وقت سهماً في العبودية يقتضيه منك بحكم الربوبية.

وقال الشاذلي:

قيل لي مرة ما الذي استفدت من الطاعة وما الذي استفدت من المعصية فقلت: استفدت من الطاعة العلم الزائد والنور النافذ والمحبة. ومن المعصية الغم والحزن والخوف والرضا[1].

وقال: في الأخبار: من أطاعني في كل شيء أطعته في كل شيء.

قال: كأنه يقول من أطاعني في كل شيء بهجرانه لكل شيء أطعته في كل شيء بأن أتجلى له في كل شيء حتى يوافي، كأني

(١) هكذا في الأصل وقد تكون: وعدم الرضا.

هذه الطاعة والمشاهدة في حق العوام من الصالحين.

الخواص

وأما الخواص من الصدّيقين فطاعتهم بأقبالهم على كل شيء لحسن إرادة مولاهم في كل شيء، فكأنه يقول: من أطاعني بكل شيء بأقباله على شيء لحسن إرادتي في كل شيء، أطعته في كل شيء بأن أتجلّى له عند كل شيء حتى يراني أقرب إليه من كل شيء.

وقال: عليك بالمطهّرات الخمس في الأقوال والمطهرات الخمس في الأفعال، والتبرؤ من الحول والقوة في جميع الأحوال، وغص بعقلك إلى المعاني القائمة بالقلب، واخرج عنها وعنه إلى الرب، واحفظ الله يحفظك وتجده أمامك، واعبد الله بها وكن من الشاكرين.

فالمطهرات الخمس في الأقوال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

والمطهّرات الخمس في الأفعال: الصلوات الخمس، والتبرؤ من الحول والقوة وهو قولك لا حول ولا قوة إلاّ بالله.

الفصل السادس والثلاثون:

العزة والخلوة وترك الدنيا وما فيها

أما العزة والخلوة فقالوا:

ولله العزة ولرسوله والمؤمنين، فعزة المؤمن أن يمنعه الله من التقيد للنفس والهوى والشيطان والدنيا أو لشيء من المكنونات في الغيب والشهادة والدنيا والآخرة، والمنافق لا يعلم العزة إلا من الأسباب والتعبد للأرباب:

أاله مع الله تعالى؟ إنهم يشركون مع الله، يشركون ما لم يخلق شيئاً وهم يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون، وأن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أو أدعوتموهم أم أنتم صامتون.

وقال الشاذلي: من أراد عز الدارين فليدخل في مذهبنا هذا يومين.

قيل كيف لي بذلك قال: فرّق الأصنام عن قلبك وأرح من الدنيا بدنك ثم كن كيف شئت فإن الله لن يدعك فإن جاء شيء من الدنيا بعد فلا تنظر إليه بعين الرغبة ولا تصحبه بالرهبة، ولا تجلس معه إلاّ بالواجب العلمي في صرفه وإمساكه.

وإن طلبت شيئاً يوماً فاطلب الله لك في طلبك فإنك مطلوب بالطلب، فإن خرج لك الطلب منه مخرج الرضاء فادخل، ولا تعلق قلبك لا بُدّ، فإنك لا تدري اتصل إليه أم لا، وإن وصلت فلست تدري ألك هو أم لغيرك، فإن كان لك فلست تدري أفيه خير أم شر وإن كان لغيرك فليس لك به علم، هل هو لحبيبك أو عدوك، فكيف يسكن القلب إلى موهوم تتصور فيه هذه الوجوه وأكثر من ذلك، فاطلبه وأنت متعلق بالله وناظر إليه واستعمل الشكر إذا ظفرت به والصبر والرضاء إذا لم تظفر، بل الثناء على الله أجمل لأنه لم يمنعك عن بخل وإنما منعك نظراً لك. فإذا منعك ذلك فقد أعطاك، ولكن لم يفقه العطاء في المنع إلا الصديقون، وإن خرج بك الطلب من الله مخرج السخط بدلالة العلم أو الظن فالجأ إلى الله وقِهِ إليه حتى يكون هو الذي يخلصك يفعل الله ما يشاء والعاقبة للمتقين.

الفصل السابع والثلاثون:

التواضع والسعادة والشقاوة

وأما التواضع فاعلم أن التواضع من أفضل الأوصاف الحميدة وأحسنها وأكرمها وبه نال النبي (صلعم) الفضل على الأولين، والآخرين، فكان (صلعم) أشدّ الناس تواضعاً وقد خُيّر بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون نبياً عبداً فقال له إسرافيل عند ذلك: فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له، وإنك سيّد وُلْدِ آدم، وأول شافع، وأول من تنشق عنه الأرض، ومن تواضعه (عم): أنه كان يركب الحمار ويردف خلفه، ويعود المساكين، ويحلب شاته، ويرفع ثوبه، ويخصف نعله، ويخدم نفسه ويعلف[١] ناضحته، ويقُمّ البيت، ويعقل البعير، ويأكل مع الخادم والأجير، ويحمل بضاعته من السوق.

السعادة

قال الشاذلي: وشْمُ[٢] السعادة رجل عرف الحق فتواضع لأهله

(١) أي وصل به رقعة (الأصل).

(٢) وَشْمُ أي إشارة أو علامة.

وإن عمل ما عمل، ووشمُ الشقاوة رجل جحد الحق وتكبر على الحق ولو عمل.ما عمل.

وقال خرجت البستان مع أصحابي بمدينة تونس ثم عدت إلى المدينة وكنا ركبنا على الحمير، فلما وصلنا قريباً من المدينة نزلوا وكان طين وقالوا يا سيدي انزل هنا فقلت: ولِمَ؟ فقالوا هذه المدينة ونستحي أن ندخلها على الحمير، فشئتُ رجلي وأردت موافقتهم، فإذا النداء عليّ إن الله لا يعذب على راحة يصحبها التواضع ولكن يعذب على راحة يصحبها الكبر.

الفصل الثامن والثلاثون:

الورع والصبر والقناعة

وأما الورع فقالوا ليس الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير ولبس الصوف والتصنع، وإنما هو بالصبر، واليقين في الهداية: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾[1] لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون، وهذا ثغر كريم لرجل كريم فيه خمس خصال:

الصبر والتقوى والورع واليقين والمعرفة.

الصبر: إذا أُذيَ أن لا يُؤذي.

والورع: فيما يخرج وفيما يدخل من فمه وفي القلب ان لا يلج فيه غير ما يحب به الله ورسوله.

واليقين: في الرزق.

والمعرفة: بالحق، التي لا تذل معها لأحد من الخلق.

واصبر إن العاقبة للمتقين: ولا تحزن عليهم ولا تكُ في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

وقال الشاذلي:

---

(١) ٢١/٧٣، سورة الأنبياء.

الورع نعم الطريق لمن عجّل ميراثه وأجل ثوابه، فقد انتهى بهم إلى أخذ من الله وعن الله، والقول بالله، والعمل لله، وبالله على البينة الواضحة، والبصيرة الفائقة، وهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون ولا يتحركون إلاّ بالله ولله من حيث يعلمون، وهجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فهم مجموعون في عين الجمع، لا يتفرقون فيما هو أعلى ولا أدنى، وأما أدنى الأدنى فالله يوزعهم عن ذلك ثواباً لورعهم، مع الحفظ لمنازلاتهم الشرع عليهم، ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بالدنيا، أو مصروع بدعوى، وميراثه التعزز بحقه، والإستكبار على مثله، والصولة بعلمه، والدلالة على الله بعمله: فهذا هو الخسران المبين، والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعيذون بالله منه، ومن لم يزد بعلمه وعمله افتقاراً لربه وتواضعاً لخلقه فهو هالك. فسبحان من قطع كثيراً من أهل الصلاح بصلاحهم عن مصالحهم كما قطع المفسدون بفسادهم عن وجودهم، فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم.

وقال: أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة، وأقم عليهم الحدود، واهجرهم لهم رحمة بهم: لا تغرر عليهم، ولا تقتدي بمن يتورع بما تناولته أيدي الكافرين.

الفصل التاسع والثلاثون:

الإخلاص والصفاء

وأما الإخلاص فقالوا:

نور من نور الله استودعه الله قلب عبده المؤمن، فقطعه به عن غيره، فذلك هو أصل الإخلاص. ثم يتشعّب أربع:

إرادة الإخلاص في العمل على التعظيم لله

إرادة الإخلاص على التعظيم لأمر الله

وإرادة الإخلاص لطلب الأجر والثواب

وإرادة الإخلاص في تصفية العمل عن الشوائب إن لا يراعي فيه غير ذلك

وكل هذه استعبد بها، فمن تمسك بواحدة منها نجا وأخلص له درجات عند الله، واللهُ بصير بما يعملون، وأشار إلى ذلك بقوله:

الإخلاص سرّ من سري استودعه من أحببته من عبادي.

وقال الشاذلي:

رأيت كأني أطوف بالكعبة طالباً من نفسي الإخلاص، وأنا أفتش عليه في سري فإذا النداء عليّ كم يدندن مع من يدندن وأنا

السميع القريب العليم الخبير وتعريفي يغنيك. عن علم الأولين والآخرين ما خلا علم الرسول وعلم النبيين، وإنما هو أربعة إخلاص، وهو على ضربين:

إخلاص الصادقين، وإخلاص الصدّيقين، وإخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب وإخلاص الصديّقين بنظر وجود الحق مقصوداً به لا بشيء من عنده.

فمن استودع ذلك في قلبه فهو المستثنى على لسان عدوه بقوله: لأغوينهم أجمعين إلاّ عبادك منهم المخلصين.

وقال: إن أردت السلامة من الغرور فاخلص العمل لله بشرط العلم، ولا ترضى عن نفسك بشيء.

الفصل الأربعون:

اليقين والتحقيق

وأما اليقين فقالوا:

من علم اليقين بالله وبحالك عند الله: أن تتعاطى بين الخلق ما لا تصغر عند الحق، وإن صغرت به في أعين الخلق، بلا اعتراض من الشرع، ولا منازعة من الطبع، بل من عين اليقين نسيان الخلق عند هجوم الشدائد وتتابع الفوائد بسواطع الشواهد، بل من حق اليقين الغرق في الشيء كأنك نفس الشيء، كمن اضطر إلى رؤية البحر فركبه وانكسرت سفينته فتلاطمت عليه أمواجه، فمنهم بعد من يفنى ويذهب مع الذاهبين، وينقل إلى درجات عليين، ومنهم من يحي ويبقى مع الباقين لا حظ للمقتدى به بل هو مستور عن الخلق أجمعين، ومنهم من يبقى برزخاً بين الخُلق والخَلق ظاهراً بالتعيين كاملاً في الوصفين، قدوة للثقلين، ومنهم الإمام الأكبر الفرد القطب الغوث الجامع المختص بالأسماء والصفات والأنوار والأخلاق وما يسمع أن يسعه سامع، ومن دونهم من لا درجة له من الأولياء والعباد والزهاد ومن أهل النظر بالدليل والبرهان ولم يطلع بعد على الكشف والعيان، ومن دونهم أهل الوسائل بالأعيان

والأحوال وأهل التخليط في الأقوال والأفعال فمن يهن الله فماله من مكر إن الله يفعل ما يشاء.

وقال الشاذلي:

إن كنت مؤمناً موقناً فاتخذ الكل عدداً، كما قال ابراهيم (عم) فإنهم عدو لي إلاّ رب العالمين. وإن كنت محمدياً فاتلُ هذه الآية: ﴿قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله﴾[1] وأخراج الفعل بشيئين: الماضي والمستقبل تحقيقاً للرسول والمؤمنين، وأما الله تعالى فلا ماضٍ ولا استقبال عنده، إذ لا يتجدد عنده شيء.

وقال الصادق المؤمن: لو كذبه أهل الأرض ما ازداد بذلك إلاّ يقيناً، ولو صدقه أهل الأرض لم يزدد إلاّ تمكيناً.

وقال: أربعة من كان فيه احتاج الخلق إليه، وهو غني عن كل شيء:

المحبة لله، والغناء بالله، والصدق، والصدق في العبودية، واليقين في أحكام الربوبية: ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون.

---

(١) ٩/٩٤، سورة التوبة.

الفصل الواحد والأربعون:

العلم والقصد وأهل الله

وأما العلم فاعلم أنك لا تنشد علمك ليصدقك الناس، وانشر علمك ليصدقك الله وإن كان لازم العلة موجوداً فعلّة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير لك من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك، ولعلة ترد إلى الله خير لك من علة تقطعك عن الله، فمن أجل ذلك علقك بالثواب والعقاب، إذ لا يرجى ولا يخاف إلا من قبل الله، وكفى بالله صادقاً ومصدقاً وعالماً ومعلماً وهادياً ونصيراً ينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك، ووليّاً يواليك ويوالي بك ولا يوالي عليك.

وقال الشاذلي:

هذه العلوم، نواس وبيان لمواقع النفوس وخواطرها ومكرها وإرادتها، وقطع للقلوب من الملاحظة والمساكنة والمراكنة على سبيل التوحيد والشرع بصفات المحبة وإخلاص الدين بالدين، ولهم بعدُ زوائد في مقامات اليقين، والزهد، والصبر والشكر والرجاء والخوف والتوكل والرضا وغير ذلك من مقامات اليقين، فهذا سبيل القاصدين، وأما أهل الله فهم قوم جذبهم الله عن الشر وأصوله واستعملهم بالخير وفروعه، وحبب إليهم الخلوات وفتح إليهم سبيل

المناجاة، فتعرف إليهم فعرفوه، وتحبّب إليهم فأحبوه، وهداهم السبيل إليه فسلكوه ولا يحبون أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب.

وقال: رأيت النبي (صلعم) ونوحاً (عم) وملكاً بين يديهما، فقال لو علم نوح من قومه كما علم محمد (عم) من قومه ما دعا عليهم بقوله: لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً.

هذا موضع العلم الحقيقي الذي لا يتبدل. ولو علم محمد (عم) ما علم نوح (عم) من قومه ما أمهلهم طرفة عين، ولكن أمهلهم لعلمه أن في أصلابهم من يؤمن ويسعد بلقاء ربه، فقال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون. فكلّ على علم وبينة من الله، فالزم كل واحد ما لزم من الدعاء، فمن جاهد نفسه، وهواه، وشهواته، ودنياه فغلب فهو منصور ومشكور ما لم يصرّ على الذنب أو يرضى بالعيب أو تسقط منه الخشية في الغيب.

ومن كان بإحدى الثلاث وعلم أن له رباً يغفر الذنوب ويأخذ به وآمن بالقدر كله وخاف من ذنبه ووجل من ربه، فالرحمة إليه أسرع من القطر إلى الأرض يقول الله (تع): ارحم ما أكون بعبدي إذا أدبر عني، وأجلّ ما يكون عبدي إذا أقبل عليّ.

وللهالك الذي يفرح بالمعصية إذا عصى ويحزن عليها إذا فاتته ويفخر بها ولا يستتر منها، فنعوذ بالله، وهو في مشيئة الله.

وقال: حقيقة العلم بالخير المسكون فيه، وحقيقة العلم بالشر الخروج عنه، وقال: العلوم على القلوب كالدراهم والدنانير في الأيدي إن شاء نفعل وإن شاء ضرّك معها.

وقال: سبعة إرفع قلبك عنها: لا علوم ولا أعمال ولا خصائص ولا ودائع ولا أماكن ولا لطائف ولا حقائق تنجيك من قدر الله.

الفصل الثاني والأربعون:

الإرادة وترك الإختيار والإيثار

وأما الإرادة فأصول الإرادة على مذهب محققي الصوفية على أربع:

الصدق في العبودية، وترك الإختيار مع الربوبية، والأخذ بالعلم في كل شيء، وإيثار الله بالمحبة على كل شيء.

والصدق على أربعة أصول: على التعظيم والمحبة والحياء والهيبة.

- وترك الإختيار ينى على أربعة أصول: الشهود في القبضة والتحقيق بالوصلة والتصديق بالجملة والثقة بضمان الله ووعده.
- والأخذ بالعلم ينى على أربعة أصول: إما من طريق الأصالة، وإما من طريق المواجهة، وإما من طريق الفهم، وإما من طريق السمع.
- وإيثار الله بالمحبة ينى على أربعة أصول: إيثار الوجود على كل موجود، وإيثار الصفات بالتحسين لكل موجود، وإيثار أفعاله بالرضا عند كل مفقود، محابه على محاب نفسه.

هذا إن نفذ. فأما من لم ينفذ فليكن مع الأستاذ النافذ بهذه المثابة.

وقال الشاذلي:

ومن لم تصح إرادته لم تزده مرور الأيام إلاّ ليرفض الجهل، وعلى رفض الدنيا بالإقبال على الآخرة، وليلازم الخلوة ودوام الذكر فهنا تظهر عيه آثار الخصائص بالنور والبهاء في التوجه، وتقبل الناس عليه من الرجال والنساء من الحواضر والبوادي، ويسارعون إلى إكرامه والسلام عليه والتعظيم له، فإن قبل ذلك منهم قبل التمكن والتحقيق، يسقط من عين الله، ويردّ إلى ما خرج منه، فتارة يمدح هذا ويذمّ ويحتال على هذا. فقد ظهرت عورة نفسه بإدباره عن ربه ورفضه لمحب الله بمحب نفسه، فاحذر هذا الداء العظيم، فقد هلك به خلق كثير، فاعتصموا بالله ومن يعتصم بالله فقد اهتدى إلى صراط مستقيم.

الفصل الثالث والأربعون:

الكرامة وخارق العادة وأربابها

وأما الكرامة فقالوا:

بسط الكرامة أربعة:

حب يشغلك عن حب غيره

ورضا فضّل به حبك

وزهد يحققك بزهد رسوله

وتوكلٌ يكشف لك عن حقيقة قدرته.

وقالوا: كرامة الصديقين خمسة:

أولاً: دوام الذكر والطاعات بشرط الإستقامة.

ثانياً: الزهد في الدنيا بإيثار القلة.

ثالثاً: تحديد اليقين مع المعارضات.

رابعاً: وجود الوحشة مع أهل المنفعة والإنس مع أهل المضرّة.

خامساً: ما يظهر على الأبدان من طي الأرض والمشي على الماء وغير ذلك مما لا يجري تحت حكم العادة.

ولهذا الفضل أوقات وأشخاص وأماكن، فمن طلبها في غير وقتها قلّ ما يعثر عليها، وعلى الجملة لا يعطها من طلبها ولا تحدثه نفسه بها واستعمل نفسه في طلبها.

إنما يعطيها عبد لا يرى نفسه ولا عمله وهو مشغول بحجاب اللّه، ناظرٌ لفضل اللّه، آيسٌ من نفسه وعمله، وقد تظهر على من إستقام في ظاهره وإن كانت هيأت النفس في باطنه.

وقال الشاذلي:

كرامة اللّه في الرضا، تلهيك عن المصائب إلى يوم اللّقاء.

وقال: إنما هنا كرامتان جامعتان، محيطتان في الدنيا:

كرامة الإيمان بزيادة الايقان وشهود العيان

كرامة العمل بالإقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة.

فمن أعطاها وجعل يشتاق إلى غيرها فهو عبدٌ فقير

كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب، كمن أُكرم بشهود الملك والخدمة إلى عين الرضا وجعل يشتاق إلى سياسة الدّوابّ وخلع الرضى وكل كرامة لا يصحبها الرضى من اللّه فصاحبها مستدرج، مغرور أو ناقص، أو هالك مثبور.

وقال: قيل لي إن أردت كرامتي بطاعتي وبالإعراض عن معصيتي فيها، فإن زللت بغليّة الشهوة وعظيم القدرة فاعل قربي منك ونظري إليك وإحاطتي بك، وقدرتي إليك، فاستنقذ نفسك مني ومن عظيم قدرتي وقل: يا موجود قبل كل موجود، وهو الان على ما هو عليم، موجود يا أوّل، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن.

وضاقت على الأرض بما رحبت، وضاقت على نفسي ولا ملجأ منك إلاّ إليك فتب عليّ لأتوب إنك التوّاب الرحيم.

الفصل الرابع والأربعون:

الولاية وعلاماتها وأربابها وأقسامها

وأما الولاية فقالوا: الوالي مصان في أربعة مواطن: من الخواطر، والوسواس في الصلاة، ووقت الدعاء، واللّجوء إلى اللّه، والنجاة منه، ووقت نزول الشدائد وعند تفريجها. فهذه التي لا تخطر بقلوبهم، ولا يتعلّق فيها شيء سوى اللّه تعالى، وهي محروسة مصانة إلاّ من أربعة أصناف:

من الآخرة وضدّها، وذكر ألأولياء وأضدادهم، وذكر الطاعات وأضدادها، ومن حقايق الإيمان وأضدادها. فهي مصانة من جميع الخواطر إلاّ من هذه لما فيها من فوايد الإستعمال بالعبودية المحضة من النهوض عن الضد، وكيف لا يكون ذلك ورسالات ربنا على لسان نبينا (عم) محشوّة بذكر ذلك كله فلا ينازع في دفع الشيء. في هذا الباب، واعطِ حقه فيما يخطر بقلبك، واعتصم بالله، وتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين، وعليك بالتقوى في ثلاث منازل فهي: تقوى العزائم، وتقوى الإقتضاء، وتقوى التحويل في الأحوال والأماكن، والتوكل رأس الأعمال، والزهد أساسها.

وقال الشاذلي:

كلَّ[١] على نفسك وزينها بالصلاة وإقبال الناس عليك، وأعراضهم عنك وبالفقد والوجد في الأحوال الظاهرة والباطنة، فإن خطر بالبال تسكن إليه، وتفرج به، وتحزن عليه أو تهتم له أو من أجله، فذلك يسقطك، من الولاية الكبرى، والصديقية العظمى، وإن عساك أن تختص بالولاية الصغرى في درجات الإيمان ومزيد العمل، ولن تقدم فيها الوساوس والخواطر لأنك بُعيد في سماء الدنيا، وقريب من الشيطان والهوى يسترقون ويلقون ويقولون. فإن أيدت بنجوم العلم وكواكب اليقين ودوام الحفظ فقد تمت ولايتك في هذا الباب وإلاّ فكنت مثاغراً[٢] فتارة لكل وتارة عليك على حسب ذلك، ولك أجر المجاهدين.

وقال:

من أجل مواهب الله الرضأ بمواقع القضاء، ولاصبر عند نزول البلاء، والتوكل على الله عند الشدائد، والرجوع عند النوائب، فمن خرجت له هذه الأربعة من خزاين الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة والإقتداء بالائحة، فقد صحت ولايته لله ولرسوله والمؤمنين. ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون، ومن خرجت له هذه من خزائن المنى على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله له بقوله تعالى: وهو يتولى الصالحين (صدق). ففرق بين الولايتين: فعبد يتولى الله، وعبد يتولاه الله، فهما ولايتان: صغرى وكبرى.

فولايتك لله خرجت من المجاهدة، وولايتك لرسوله خرجت من متابعة سنته وولايتك للمؤمنين خرجت من الإقتداء بالأئمة.

---

(١) كلّ: أي أتعب

(٢) هكذا في الأصل.

وقال: يبلغ المولى مبلغاً يقال له: أصبحناك السلامة واسقطنا عنك الملامة فافعل ما شئت.

الفصل الخامس والأربعون:

المحبة والسكر والصحو والشرب

وإن المحبة فالزم الطهارة من الشرك كلما أحدثت، ومن دنس حب الدنيا كلما مالت إلى شهوة أصلحت بالتوبة ما أفسدته بالهوى أو كدرت؛ وعليك بمحبة الله على التوقير والنزاهة؛ وأدمن[1] الشرب بكأس مع السكر والصحو كلما أَفَقْتَ أو تيقظت أو شربت حتى يكون سكرك وصحوك به، وحتى تغيب بجماله من المحبة وعن الشراب والشرب والكأس بما يبدو لك من نور جماله وقدس جلاله، وأجلى ما أحدّ من أن لا يعرف المحبة ولا الشراب ولا الشرب ولا الكأس ولا الصحو ولا السكر، فنعمة المحبة أخذت من الله من أحب بما يكشف له من نور جماله وقدس كمال جلاله، وشراب المحبة مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأفعال بالأفعال والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والنعوت بالنعوت؛ ويتسع فيه النظر لمن شاء الله تعالى، والشرب سقي القلب والأوصاف والعروق، ومن هذا الشراب نسكر، ويكون الشراب بالتدريب بعد التدريب والتهذيب، فسقى كل على قدره:

---

(١) أي أدِمْ كما جاءت في الأصل.

فمنهم من يسقى بغير واسطة والله سبحانه يتولى منه له، ومنهم من يسقى من جهة الوساطة كالملائكة والعلماء والمقربين، فمنهم من يسكر بشهود الكأس ولم يذق بعد شيئاً، فأظنك بعد بالذوق، وبعد بالشراب، وبالري وبالسكر وبالمشروب، ثم الصحو بعد ذلك على مقادير شتى كالسكر. والكأس معرفة الحق يعترف بها من ذلك الشراب الطهور المحض الصافي من عباده الخاصة، فتارة يشهد الشارب تلك الكأس صورة، وتارة يشهدها معنوية، وتارة علمية: فالصورة حظ الأبدان والأنفس والمعنوية حظ القلوب والعقول، والعلمية حظ الأرواح والأسرار، فطوبى لمن شرب منه ودام ولم يقطع ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وقد يجمع من المحبين فيسقون من كأس واحد، وقد يسقون من كؤوس، وقد يسعى الواحد بكؤوس، وقد تختلف الأشربة بعد الكؤوس، وقد يختلف الشرب من كأس وإن شرب منه الجمّ الغفير من الأحبة.

وقال الشاذلي:

المحبة أخذ من الله لقلب عبده عن كل شيء سواه فترى النفس مائلة لطاعته، والعقل مختصاً بمعرفته، والروح مأخوذة من حضرته، والسر معمور في مشاهدته، والعبد يستزيد فيزاد، ويفاتح بما هو أعذب من لذيذ منا فيكسي حلل التقريب على بساط القربة، ويمس إنكار الحقائق وشباب العلوم، فمن أجلها قالوا أولياء الله عرائس، ولا يرى العرايس المجرمون.

قيل له: قد علمت الحب فما شراب الحب وما كأسه وما الساقي وما الذوق وما الشرب وما الرّي، وما السكر وما الصحو.

فقال له:

الشراب هو النور الساطع عن جمال المحبوب

والكأس هو اللطف الموصل ذلك إلى أفواه القلوب

والساقي هو الله المتولى للخاصة والصالحين.

فمن كشف له عن ذلك الجمال وحظي بشيء منه نفساً أو نفسين ثم أرخى عليه الحجاب فهو الذايق المشتاق، ومن داوم له ساعة أو ساعتين فهو الشارب حقاً، ومن يتولى عليه الأمر ودام له الشرب حتى امتلأت عروقه ومفاصله من أنوار الله المخزونة، فذلك هو الرّي، وربما غاب عن المحسوس والمعقول فلا يدري ما يقال ولا ما يقول فهو السكر.

وقد تدور عليهم الكاسات وتختلف لديهم الحالات ويردون إلى الذكر والطاعات ولا يحجبون عن الصفات مع تزاحم المقدورات فذلك وقت صحوهم واتساع نظرهم ومزيد علمهم، فهم بنجوم العلم وقمر التوحيد يهتدون في ليلهم.

وبشموس المعارف يستضيئون في نهارهم.

أولئك حزب الله إلاّ أن حزب الله هم المفلحون.

وقال:

من أحب الله وأحبه الله فقد تمت ولايته: والمحب في الحقيقة من لا سلطان على قلبه بغير محبوبه. ولا مشية غير مشيته. فإذا مات ثبتت ولايته من الله له ولا يكره لقاؤه، ويُعلم ذلك من قوله تعالى: ﴿إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾[٢]. فإذا الولي على الحقيقة لا يكره الموت إن عُرض عليه، وقد أحب الله من لا محبوب له سواه، وأحب له من لا يحب شيئاً لهواه، وأحب لقاؤه من ذاق أنس مولاه، ويتمحض

(٢) ٦٢/٦، سورة الجمعة.

لك الحب له في عشرة فاعتبرها فيما رواه عن الرسول (عم) والصديق والفاروق وعثمان وعلي والصحابة والتابعين والأولياء والعلماء الهداة إلى الله والشهداء والصالحين.

فإذا افترق الأمر بعد الإيمان إلى عشرة أشياء إلى: السنّة والبدعة والهداية والضلالة والطاعة والمعصية والعدل والجور والحق والباطل. ميّزت وأحببت وأبغضت، وقد يجمع لك الواصفات[٣] في شخص واحد، ويجب عليك القيام بحقّهما جميعاً، فإذا قد بان لك الحب للّه في العشرة الأولى فانظر هل للهو هناك أثر، فكذلك اعتبر حب من حضر من إخوانك الصادقين، والمشايخ الصالحين، والعلماء المهدّيين، وسائر من حضر أو غاب عنك أو مات. فقد خلّص الحب من الهوى وثبت الحب للّه. وإن وجدت شيئاً يتعلّق فيمن تحب أو فيما تحب فارجع إلى العلم، واتقن النظر في الأقسام الخمسة:

من الواجب والمندوب والمكروه والمحظور والمباح.

وقال:

المحبة سرّ في القلب من المحبوب إذا ثبّت قصعك عن كل كل مصحوب وقال: حرام أن تتصل بالمحبوب ويبقى لك من العالمين مصحوب.

وقال:

إذا منعك مما تحب وردّك إلى ما يحب فهي علامة محبته لك.

(٣) والصحيح الأوصاف.

الفصل السادس والأربعون:

المراقبة والتفكير والمشاهدة

وأما المراقبة فعليك بتحصيل ما أمرت به في ظاهرك فإذا فعلت ذلك فاجلس على بساط المراقبة، وخذ بالتخليص في باطنك حتى لا يبقى فيه شيء مما نهاك عنه، واعط الجد حقه، وقلّل النظر إلى ظاهرك إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك، فما وردت عليك من خطرات تصدك عن مرادك، فاعلم أولاً قرب ربك منك علماً يباشر قلبك بتكرار النظر في جلب منافعك ودفع مضارك، وانظر هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض، فإن من الأرض نفسك، ومن السماء قلبك، فإذا نزل من السماء إلى الأرض شيء فمن ذا الذي يصرفه عنك غير الله؛ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم.

فاعط المعية حقها بلزوم العبودية له في أحكامه، ودع عنك منازعة الربوبية في أفعاله، فإن من يُنازعه يُغلب وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير. نعم الحق ما أقول لك ما من نفس من أنفاسك إلا والله متوليه، مستسلماً كنت أو منازعاً، لأنك تريد

الإستسلام في وقت وتأبى النزاع وتريد النزاع في وقت آخر وتأبى الإستسلام. فدلت هذه على ربوبيته في جميع أفعاله لا سيما عند من اشتغل بمراعاة قلبه لتحصيل حقائقه.

فإذا كان الأمر بهذا الوصف فاعط الأدب حقّه فيما يرد عليك بأن لا تشهد لشيء منك أولية بأوليته، ولا آخرية إلاّ بآخريته، ولا ظاهرية إلاّ بظاهريته ولا باطنية إلاّ بباطنيته فإذا تنبهت لمأول الأول نظرت لما يؤل فيما يؤله، فإن صدّ عليك خاطر من محبوب يوافق النفس أو مكروه لا يلايمها من لم يحرمه الشرع، فانظر لما يخلقه الله فيك بأثر ما يخطر ببالك، فإن وجدت تنيهاً على الله تعالى فعليك بالتحقيق فذلك أدب الوقت عليك، ولا ترجع إلى غير ذلك، فإن لم تجد السبيل إلى التحقيق به فعرس بين يديه، فهو أدب الوقت عليك، ومهما رجعت إلى غيره فقد أخطأت سبيلك.

فإن لم يكن مفك فعليك بالتوكل والرضا والتسليم، فإن لم تجد السبيل إليه فعليك بالدعاء في جلب المنافع ودفع المضار بشرط الإستسلام والتفويض. وأحذرك من الإختيار فإنه شر عند أولي الأبصار فإذا هي أربعة آداب:

أدب التحقيق وأدب التعريس وأدب التوكل وأدب الدعاء. فمن تحقق به حُفظ منه، ومن عرس عنده كفى من غيره بربه، ومن توكّل عليه كفى من اختيار نفسه باختيار ربه، ومن دعاه بشرط الإقبال والمحبة أجابه إن شاء فيما يصلح له، ولكل أدب بساط.

الأول: بساط التحقيق: إذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك عن صفاته فكف هناك بسرك وحرام عليك أن تشهد غيره.

الثاني: بساط التعريس: فإذا ورد عليك خاطر من غيره وكشف

لك عن أفعاله فعرس هناك بسرك وحرام عليك أن تشهد غير صفاته شاهداً ومشهوداً وفي الأول فني الشاهد وبقي المشهود.

الثالث: بساط التوكل: فإذا ورد عليك خاطر من غيره[1] وكشف عن غيوبه جلست على بساط محبته متوكلاً عليه راضياً بما يبدو لك من آثار فعله في أنوار حجبه.

الرابع: بساط الدعاء: فإن ورد عليك خاطر من غيره وكشف لك من فقرك إليه فقد دلّك على غناه واتخذ الفقر بساطاً، فاحذر أن تنزل عن هذه الدرجة إلى غيرها فتقع في مكر الله من حيث لا تعلم، وأقل ما يكون منك إذا نزلت عنها أن ترجع إلى نفسك مدبراً لها ومختاراً بها: تعوذ بالله من دعاوى الشرك وتعطيل النفس عن المجاهدات ومن خلوّ القلب عن المشاهدات، وقالوا إذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله فعليك:

برفض الناس جملة واحدة إلاّ من يدلّك على الله بإشارة صادقة وأعمال خالية لا ينقصها كتاب ولا سنة وأعرض عن الدنيا بالكلية، ولا تكن كمن يعرض عنها ليعطي شيئاً على ذلك، بل كن في ذلك عبداً لله. أمرك أن ترفض عدوه، فإن كنت في هاتين الخصلتين: الإعراض عن الدنيا والزهد في الناس، فأقم مع الله في المراقبة والزم التوبة بالرعاية والإستغفار بالإنابة والخضوع للأحكام بالإستقامة.

---

(١) هكذا في الأصل: «أعني ما تقدم ذكره من محبوب أو مكروه».

وتفسير هذه الأربعة:

أن تكون عبداً لله فيما تأتي، وتراقب قلبك أن لا يرى في المملكة شيئاً غيره، فإذا أتيت بهذا نادتك هواتف الحق من أنوار العز أنك قد عميت عن طريق الرشد من أين لك القيام بالمراقبة وأنت تسمع وكان الله على كل شيء رقيب: فهنالك يبدو لك من الحياء ما يحملك على التوبة بما ظننته أنه قربة. فالزم التوبة بالرعاية لقلبك ولا تشهد ذلك منك بحال فتعود إلى ما خرجت. فإن صحت هذه منك نادتك الهواتف أيضاً من قبل الحق:

أليس التوبة منه بدأت. والأناية تتبعها، واشتغالك بما هو وصف لك حجاب عن مرادك. فهناك تنظر أوصافك فتستعيذ بالله منها فتأخذ في الإستغفار والإنابة:

فالإستغفار طلب الستر من أوصافك بالرجوع إلى أوصافه وإن كنت بهذه الصفة ناداك من قريب: إخضع لأطعامي ودع عنك منازعتي واستقم مع إرادتي برفض إرادتك.

وإنما هي ربوبية تولت عبودية: فكن عبداً مملوكاً لايقدر على شيء، فمتى رأيت منك قدرة وكالتها إليها وأنا بكل شيء عليم. فإن صحّ لك هذا الباب ولزمته أشرقت من هنالك على أسرار لا تكاد تسمع من العالمين(٢).

(٢) أي من أحد من العالمين. هكذا جاءت في الأصل.

الفصل السابع والأربعون:

المعرفة والعيان وأربابها

وأما المعرفة: فالمعرفة ما قطعتك عن غير الله وردّك إلى الله وخصلتان يسهلان الطرق إلى الله: المعرفة والمحبة، حبك الشيء يعمي ويصم عن غيره: إعرف الله ثم استرزقه من حيث شئت غير مكب على حرام، ولا راغب في حلال، وانصح الله في عباده ولا تخنه في أمانته، واعبد الله باليقين تكن إماماً من أئمة الدين. وانتقل عن علم الجهلة إلى الحاصلة تكن من الوارثين، ولك إسوة من المرسلين، ومتحقق عن النبيين .

ومن نسب، أو أضاف أو أحب، أو بغض وتحبب، أو تقرب أو رجا أو خان أو سكن أو آمن لشيء أو بشيء غير الله، أو تعدى حداً من حدود الله فهو ظالم، والظالم لا يكون إماماً.

فإن الله تعالى: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾[1]، قال: ومن ذريتي، قال:

لا ينال عهدي الظالمين ومن صدق الله في نفسه فهو إمام، قلّت

---

(١) ٢/١٢٤، سورة البقرة.

روايته أو كثرت. ومن كان إماماً فلا يضره أن يكون أمة واحدة. وإن قلّ أتباعه قبل حقيقة المعرفة الغنى بالله عن جميع الأنام، فإن قيل كيف وقد أحوج الله نبيه إلى عدوّه. فنقول إذ ذاك أنظر إلى غناك عن السماوات والأرض مع الحاجة إليهما، وكل من يحتاج إليه قطعه عنهما. فالذي رفع السماء منعها أن تقع عليك ومنع الأرض أن تبتلعك، وهو الذي دفع ضرر القطيعة عنك وأوصل النفع منهما إليك، وأحوجك لله لتعبده بكل شيء حتى يغنيك به عن كل شيء، وهو معنى قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، وهو العيان فيغنيك به عن البرهان ويمحق عنك الغفلة والنسيان، هناك تتلو كل نفس ما أسلفت.

وقيل كيف أعبد الله؟ في كل شيء

قيل: تعطي التسليم حقه من غير عوج والثناء حقه من غير عوج، والإستهداء حقه من غير كدر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾(٢).

فالتسليم حق الأبدان.

والثناء حق اللسان

والأستهداء حق الجنان

وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه، وما ربك بغافل عما تعملون.

وقال الشاذلي:

حقيقة المعرفة استغناء العارف بوصف المعرفة عن كل شيء دون الحق تعالى. وقال: كنت مريضاً فرأيت النبي عليه السلام. فقال

(٢) ٤/٦٥، سورة النساء.

لي: طهّر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله في كل نفس. فقلت وما ثيابي يا رسول الله. فقال: إنّ الله كساك حلّة المعرفة ثم حلّة المحبة ثم حلّة الإيمان ثم حلّة الإسلام.

فمن عرف الله صَغُر لديه كل شيء

ومن أحبّه هان عليه كل شيء

ومن وحّد الله لم يشرك به شيئاً

ومن آمن بالله آمن من كل شيء

ومن أسلم لله قلّ ما يعصيه، وإن عصاه اعتذر إليه، وإذا اعتذر إليه قبل عذره. قال: ففهمت من معنى قوله: وثيابك فطهّر.

الفصل الثامن والأربعون:

البصيرة والفراسة والدرك

وأما البصيرة فتأديب وتعليم. يقول الله: فهما شيئان: قسمته لك وشيء صرفته عنك. فمن اشتغل بهما أو بواحدة منهما فقد قلّ فهمه وعَظُم جهله وذهب عقله، واتسعت غفلته وقلما يتنبه لمن يوقظه.

فإن جاءك محبوب بالشرع أو بالطبع أو بهما أوجبته أنت فهو القسم الأول، فكن بي ولي فيما قسمته لك أكن لك بالرحمة فيما صرفته عنك، وفيما يُساق من المكروه إليك، فأشغلك بما هو أولى بك عما هو مصروف عنك، وأذاقك حلاوة الرضاء بقضاء حتى يكون المكروه أحب إليك من كل محبوب بالطبع هو لك، وإن لم تكن لي ولآلي قسمته لك وتمكنك إلى نفسك فيما هو مصروف عنك وفيما يساق من المكروه إليك، وإن الله ليعجب بعبد يجتهد في صرف ما هو مصروف عنه وفي دفع ما لا بد منه، فاعمل لله باليقين وأثبت الأمر حيث أثبته والنهي حيث أثبته، وأتمر بالأمر حيث أمرك، وانته عن النهي حيث نهاك على البصيرة في اليقين ولا تكن من الغافلين.

وقالوا إذا أردت أن تنظر إلى الله ببصيرة الإيمان والإيقان دائماً، فكن لأنعم الله شاكراً وبقضائه راضياً. وما بكم من نعمة الله، ثم إذا مسّكم الضرّ فإليه تجأرون. فأن أردت النيابة عنك أو منك فاعبد الله على المحبة لا على الأجرة، وعلى المعرفة بالتعظيم والصيانة، وقالوا: البصيرة كالبصر: إن يقع أدنى شيء تعطل النظر، وإن لم ينته الأمر به إلى العمى. الخطرة من الشر تشوش النظر وتكدر الفكرة والإرادة له تذهب الخير رأساً، والعمل به يذهب بصاحبه عن سهم من الإسلام فيما هو فيه، ويأتي بضده، فإن استمر على الشر فلت منه الإسلام شيئاً فشيئاً، فإذا انتهى إلى الوقيعة في الأئمة وموالاة الظلمة حباً في الجاه والمنزلة، وحباً للدنيا على الآخرة فتلّفت[1] منه الإسلام كله. ولا يغرنّك ما توسم به ظاهراً فإنه لا روح له. وروح الإسلام حب الله ورسوله وحب الآخرة وحب الصالحين.

وقال الشاذلي:

أركز الأشياء في الصفات ركزها قبل وجودها، ثم انظر هل ترى للعين أين، أو ترى للكون كان أو ترى للأمر شان، وكذلك بعد وجودها.

وقال: عمى البصيرة في ثلاثة:

إرسال الجوارح في معاصي الله

والتصنع بطاعة الله

والطمع في خلق الله

فمن ادّعى البصيرة مع واحدة من هذه تغلبه هتف ظنون النفس ووساوس الشيطان.

---

(١) هكذا جاءت في الأصل.

الفصل التاسع والأربعون:

الحقائق[1] وجميع أقسامها ومراتبها

وأما الحقائق فقالوا:

الحقائق هي المعاني القائمة بالقلوب، وما اتضح لها وانكشف من الغيوب، وهي منح من الله وكرامات، وبها وصلوا إلى البر والطاعات ودليلها قول النبي عليه السلام: أحارث كيف أصبحت. قال: أصبحت مؤمناً حقاً. (الحديث).

وقال الشاذلي: هي ما يستقر في قلبك: إنه لا ضار ولا نافع ولا معطي ولا مانع إلاّ الله.

ثم لا تضطرب ولا تسكن، ولا تنسب إلى الخلق شيئاً ولو فرضت بالمقارض، ونشرت بالمناشر، أكتبك صديقاً عزيزاً.

فقلت: كيف لي بما أتيت عليه وما تعاقب عليه فقال: فكيف لي ما أتيت من الثواب والعقاب وأفعال العباد. ولا يضرّك الإثبات لما أثبتت، وإنما يضرّك الإثبات بهم ومنهم. وقال أثبت لي ما هو حق لي أثبت لك ما هو حق لك. ثم أخذك عما هو حق لك وأبقيك بما هو حق لي وقل:

---

(١) في الأصل الحقايق.

يا موجود قبل كل موجود وهو الآن على ما هو عليه موجود يا سميع يا قريب يا مريد يا قدير يا الله يا حي يا قيوم يا رحمن يا رحيم يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن، يا متكبر يا غفور يا غفار يا ثواب يا غني يا كريم يا واسع يا عليم يا ذا الفضل العظيم.

وقال: يقول الله: إن أردت رضاي فمنّي وإليّ لا من إسمي ولا من إسمك إليك.

قال: وكيف ذلك. قال: سبقت أسمائي عطائي[٢] وإسماً من صفاتي وصفاتي قائمة بذاتي. ولا يتحقق ذاتي غير ذاتي، وللعبد أسماء دنية وأسماء علية. فأسماؤه العلية قد وصفه الله بها بقوله: التائبون العابدون[٣]. (الآية). وبقوله إن المسلمين والمسلمات[٤].(الآية). وأسماؤه الدنية كالعاصي والمذنب والفاسق والظالم وغيرها.

فكما يمحق أسماءه الدنية بأسمائه العلية كذلك يمحق أسماءك بأسمائه وصفاتك بصفاته لأن الحادث إذا قورن بالقديم فلا بقاء له، فإذا ناديته باسمه كقولك يا غفور يا تواب، يا قريب يا وهّاب فاستدعيت بها العطاء لنفسك فقد تنزلت من أسمائه إلى نفسك، وكذلك: إذا لاحظت أسماءك الدنية من المعاصي والظلم والفسق فسألت سترها ومغفرتها فأنت باقٍ مع نفسك. فإذا ناديته بإسمه العلي ولاحظت صفته العلية قائمة بذاته محقت أسماؤك كلها وانعدم وجودك، فصرت محواً لا وجود لك البتة فذلك محل الفناء والبقاء بعد الفناء ثبوتيه الله من يشاء. وقال: حق التوكل صرف القلب عن كل شيء سوى الله.

---

(٢) في الأصل أسماى عطاى.
(٣) ٩/١١٢، سورة البقرة.
(٤) ٣٣/٣٥، سورة الأحزاب.

حقيقة التوكل: وقيل حقيقة التوكل: أن تدع التدبير عن خلقك وحقيقته نسيان كل شيء سواه وسره وجود الحق دون كل شيء يلقاه، وسر سرّه ملك وتمليك لما يحبه ويرضاه.

حقيقة الزهد: وقال: حقيقة الزهد فراغ القلب عما سوى الله.

وقيل: حقيقة الزهد أن تترك نفسك ودنياك وروحك وعقباك فيبقى سرك مع مولاك.

حقيقة الخشوع: وقال حقيقة الخشوع ذبول القلب بين يدي الله.

حقيقة السجود: وقال: حقيقة السجود إذعان القلب تحت أحكام الرب.

حقيقة زوال الهوى: وقال: حقيقة زوال الهوى من القلب حب لقاء الله في كل نفس من غير اختيار حالة يكون المرء عليها.

حقيقة الهجران: وقال: حقيقة الهجران نسيان المهجور.

حقيقة الهمّة: وقال: حقيقة الهمّة تعلق القلب بالشيء المهتم به، وكما لها اتصال القلب بالكلية بالله بالإنفصال عن كل شيء سواه.

حقيقة القرب: وقال: حقيقة القرب الغيبة بالقرب عن القرب لعظيم القرب

حقيقة شغل القلب: وقال: حقيقة شغل القلب بالله وقيل إزالة كل معترض.

حقيقة المزيد: وقال حقيقة المزيد فقدان المزيد لعظيم المزيد.

حقيقة الإستقامة: وقال حقيقة الإستقامة وجود الإقامة على بساط المشاهدة. وقيل حقيقة الإستقامة هي الثبات على الحق بعون الحق.

حقيقة التوبة: وحقيقة التوبة التحويل من الحركات المذمومة إلى الحركات المحمودة.

حقيقة الإنابة: وحقيقة الإنابة الرجوع منه إليه لا من غيره.

حقيقة العبودية: وحقيقة العبودية إسقاط إرادتك عند إرادته.

حقيقة لمجاهدة: وحقيقة المجاهدة خلع الراحة وترك الرجوع إلى الرخصة.

حقيقة الورع: وحقيقة الورع إمساك العين عن التلذذ بالزهرات، والنفس عن الشهوات، والقلب عن الغفلات، والروح عن العثرات والسر عن الإلتفات.

حقيقة التقوى: وحقيقة التقوى أن يتقى الحلال خوفاً أن يشغله عن الله.

حقيقة اليقين: وحقيقة اليقين مشاهدة الغيوب بكشف القلوب وملاحظة الأسرار بمخاطبة الأفكار.

حقيقة الخوف: وحقيقة الخوف أن لا يخاف مع الله غير الله.

حقيقة الرجاء: وحقيقة لرجاء سكون القلب مما كان يخاف.

حقيقة الصبر: وحقيقة الصبر حبس النفس في مقام العبودية بنفي الجوع.

حقيقة الشكر: وحقيقة الشكر هو الغنية عن الشكر برؤية المنعم.

حقيقة الرضاء: وحقيقة الرضاء سرور القلب عبر القضاء.

حقيقة الحياء: وحقيقة الحياء أن يأتي شيئاً في ظاهرة وباطنة لا يلام عليه.

وحقيقة الصدق: موافقة الحق في السر والعلانية.

وحقيقة الإخلاص: نسيان كل مذكور سوى المعبود.

وحقيقة الحلم: هو الرفق بأن يكون رفيقاً في قوله وفعله وبمن تحت يدك.

وحقيقة الأدب: مصاحبة الخلق بالشفقة واجتناب المن في النفقة.

وحقيقة القناعة: غناء القلوب وثمرتها رضاء الله على الغيوب.

وحقيقة الفقر: أن لا يرى في الدارين مع الله إلاّ الله.

حقيقة العافية: بقاء العبد مع الله.

حقيقة البلاء: على وجهين: بلاء الرحمة وبلاء عقوبة. فبلاء الرحمة يبعث صاحبه على إظهار فقره إلى الله. وبلاء العقوبة أن يكل صاحبه على اختياره وتدبيره.

وحقيقة الطمأنينة: الرضاء بقضاء الله والصبر على بلائه.

حقيقة الإعتصام: هو الثقة في شدائد الأهوال على من هو محوّل الأحوال.

حقيقة الشوق: جمرة تتوقد في القلب فيصير أحوال القلب على القلب.

حقيقة الأنس: نور لا ظلمة فيه وحصين لا ثلاثة فيه.

حقيقة المعرفة: هي أن تعرف الله بدليل وجوده وما يجوز عليه وما هو بمستحيل عليه.

حقيقة المشاهدة: إطّلاع القلوب عما أخبر الله عن الغيوب.

حقيقة الفكر: التأمل في آياته ليصل بذلك إلى معرفة ربه.

حقيقة الذكر: طرد الغفلة فإذا ارتفعت الغفلة فأنت ذاكر وإن سكت وقيل حقيقة الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الحب والخوف.

حقيقة السماع: إسترواح من تخب الوقت، وتنفس من أرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوي الأشغال وقيل حقيقته كالريح يخرج من كل قلب ما هو الثابت فيه.

حقيقة الوجد: نار تتوقد في الأسرار فيحترق به الأغيار

حقيقة الولاية: محبة الحق للعبد

حقيقة النفس: هي مظلمة مودعة في هذا القلب وهي محل الأخلاق المذمومة أمّارة بالسوء، جاحدة ظالمة عن الهدى، ذات أجزاء

حقيقة القلب: لطيفة مضيئة مودعة في القلب، وهو محل الأخلاق المحمودة آمر بالخير عارف بالله

حقيقة الروح: جسم لطيف بل هي الروح بعينها التي تردد في تجاويف أعضاء الإنسان

حقيقة السر: لطيفة نور الله مودعة في القلب، وأنها محل المشاهدة، كما أن الأرواح محل للمحبة، والقلوب محل للمعارف، والسر مالك عليه إشراف، وسر الله ما لا اطلاع عليه غير الحق.

الفصل الخمسون:

العاقل وأوقاته ومراتب الإنسان

وأما العاقل فقالوا: العاقل من عقل عن الله ما أراد به ومنه شرعاً، والذي يريد الله به من العبد أربعة:

- أما نعمة أو بلية أو طاعة أو معصية.
- فإذا كنت بالنعمة فالله تعالى يقضي منك الشكر شرعاً.
- وإذا كنت بالبلية فالله تعالى يقتضي منك الصبر.
- وإذا كنت بالطاعة فالله تعالى يقتضي منك شهود السنة والتوفيق منه شرعاً.
- وإذا كنت بالمعصية فالله تعالى يقتضي منك التوبة والإنابة شرعاً.

فمن عقل هذه الأربعة عن الله وكان قريباً بما أحبه منه شرعاً فهو عبد على الحقيقة بدليل قوله (عم): من أعطى فشكر وابتلى فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر ثم سكت.

قالوا: ماله يا رسول الله قال: أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

وقال الشاذلي: العاقل من عقل عن الله آياته، وشغله بالفكر

والذكر في الآية وفتح له السبيل بالجلاء والإفتقار إليه والدعاء والسؤال عنه والإعتصام فاستجاب لله، واستجاب الله عنه، فليس يعلم أحد ما يريد الله أن يعطيه بقوله إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، لآيات لأولي الألباب إلى أنك لا تخلف الميعاد.

وقال: العاقل عن الله هو من عرف في الشدائد الألطاف الجارية عليه من الله وعرف إساءة نفسه في إحسان الله إليه فاذكروا الله لعلكم تفلحون.

الفصل الواحد والخمسون:

المدبر والشهداء والصالح والعلماء

وأما المدبر فقالوا: من انقطع عن تدبير الله، وعن اختياره إلى اختيار الله، وعن نظره إلى نظر الله وعن مصالحه إلى علم الله، فقد أتاه الله حسن اللب وعليه يترتب الذكر والفكر، وما وراء ذلك من الخصائص.

وقال الشاذلي (رح) لبعض أصحابه: رأيتك تكابدِ نفسك وتجاذب أمرك في مجاهدة نفسك فقلت: يا لكع بن نكع أعني بذلك نفسي وفي الأبوة أعنيك، في النبوة فحققك التدبير حتى في اللقمة تأكلها وفي الشربة تشربها وفي الكلمة تعق لها أو تتركها. أين أنت من المدبر العليم السميع البصير الحكيم الخبير أن يشاركه غيره. إن أردت أمراً تفعله أو تتركه، فاهرب إلى الله من ذلك هروبك من النار، ولا تستتن في شيء، واصرخ إلى الله، وعوّد نفسك، فإن ربك يخلق ما يشاء، ويختار، ولن يثبت لك إلا صديق أو ولي. فالصديق: من له الحكم، والولي من لاحكم له. فالصديق بحكم الله والوالي يغني عن كل شيء بالله والعلماء يريدون ويختارون وينظرون ويقيسون ومع عقولهم وأوصافهم دائمون.

والشهداء يكابدون ويجاهدون ويقاتلون فيقتلون ويقتلون، ويحيون ويموتون وقد ثبت لهم الرد معنىً وإن لم يثبت لهم حساً وجسماً.

وأما الصالحون فأجسادهم مقدسة وفي أسرارهم الكزازة والمنازعة ولا يصلح شرح مآلهم إلا صديق في إبتداء أمره أو ولي في نهايته، فحسبك ما ظهر من صلاحهم واكتفى عن شرح ما بطن من حالهم. وإذا أردت أمراً تفعله أو تتركه فاهرب إلى الله كما قلت لك، واستصرخ بالله، وعوّد نفسك، وقل: يا أول، ياآخر، يا طاهر، يا باطن. أسألك بحق أسمائي بأسمائك وصفاتي بصفاتك، وتديري بتدبيرك، واختياري باختيارك وكن لي بما كنت به لأوليائك، وادخلني في الأمور مدخل صدق، واخرجني مخرج صدق واجعلني من لدنك سلطاناً نصيراً، واحذر من سوء الظن بالله، وتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين.

وقال: أشقى الناس من يعترض على مولاه وأركس في تدبير دنياه ونسي المبتدأ والمنتهى، والعمل لآخرته واتبع هواه.

الفصل الثاني والخمسون:

العموم والخصوص والأخص

أما العموم والخصوص فاعلم:

أن العموم التي وقع الثناء على أربابها، وهم الذين غرقوا في تيار بحر الذات، وغموض الصفات، فكانوا هناك بلا هم، وهم الخاصة العليا، الذين شاركوا الأنبياء والرسل في مرابتهم، وإن جلت مراتبهم فلهم منها نصيب، إذ ما من نبي ولا رسول وله من هذه ألأمة وارث، وكل وارث على قدر إرثه من مورثه.

قال(عم): العلماء ورثة الأنبياء ولا يكون وارث إلا وله نصيب معلوم من مورثه، يقوم مقامه على سبيل إرث العلم والحكمة، لا على سبيل التحقيق بالمقام والحال. فإن مقامات الأنبياء قد جلّت أن يلج حقائقها غيرهم، وكل وارث في المنزلة بقدر مورثه، إذ يقول الله (تع) ﴿ولقد فضّلنا بعض النبيّين على بعض﴾. كذلك فضل بعض الأولياء على بعض،[1]، إذ الأنبياء بعين الحق وكل عين مستمد منها على قدرها، وكل ولي له مادة مخصوصة، فانقسم

(١) ١٧/٥٥، سورة الإسراء.

الأولياء على ضربين: ضرب منهم أبدال الأنبياء، وضرب منهم أبدال الرسل فأبدال الأنبياء الصالحين، وإبدال الرسل الصديقين، فبين الصالحين والصديقين في التفصيل كما بين الأنبياء والرسل، غير أن منهم طائفة انفردوا بالمادة من رسول الله (صلعم) يشهدونها عين اليقين. لكنهم قليلون، وهم في التحقيق كثيرون وكل نبي وولي مادته من رسول الله صلعم، فمن الأولياء من يشهد عينه، ومنهم من يخفي عليه عينه ومادته فيغني فيما يرد عليه، ولا يشغل بطلب مادته، بل هو مستغرق بحاله لا يرى غير وقته. ومنهم الذين مدّوا بالنور الإلهي فنظروا به حتى عرفوا من هم على التحقيق، وذلك كرامة لهم لا ينكرها إلاّ من ينكر كرامات الأولياء، فنعوذ بالله من النكر بعض العرفان، وهم الذين أخذوا طريقان: طريق خاصة وطريق عامة فأغني بالعامة: المحبين الذين هم أبدال الأنبياء.

فأما الطريق الخاصة: فهو الطريق العلوي، تضمحل العقول في أقل القليل من شرحها.

ولكن عليك بمعرفة العامة: وهي طريق الترقي من منزل إلى منزل إلى أن ينتهي إلى منزل، وهو مقعد صدق، عند مليك مقتدر، فأول طريق يطأه المحب الترقي منه إلى العلى، فهو النفس، فيشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن ينتهي إلىَ معرفتها، فإذا عرفها، وتحقق بها، فهناك تشرق عليه أنوار المنزل الثاني.

وأنوار المنزل الثاني: هو القلب، فيشتغل بسياسة معرفته فإذا تمت له المعرفة به هبّت عليه أنوار اليقين شيئاً فشيئاً حتى إذا أنِسَت بصيرته بترادف الأنوار عليها، برز اليقين عليه بروزاً لا يعقل فيه شيئاً بما تقدم له من أمور المنزلة الثالثة.

فهناك يهتم ما شاء الله، ثم يمده الله تعالى بنور العقل الأصلي

في أنوار اليقين، فيشهد موجوداً لا حدّ ولا غاية له بالإضافة إلى هذا العبد، وتضمحل جميع الكائنات فيه، فتارة يشهدها فيه كما يشهد فيه كما يشهد اليناييب في الهوى بواسطة نور الشمس، فإذا انحرف نور الشمس عن القوة لا يشهد اليناييب أثر، فالشمس التي يصر بها هو العقل الضروري بعد المادة بنور اليقين، فإذا اضمحل هذا النور ذهبت الكائنات كلها وبقي هذا الموجود. فتارة يبقى وتارة يفنى، حتى إذا أريد به الكمال نودي منه نداء خفياً لا صوت له، فيمد بالفهم عنه إلا أن الذي يشهد غير الله ليس من الله في شيء، فهناك ينتبه من سكوته فيقول: أيا ربي أغثني فإنني هالك، فيعلم يقيناً أن هذا البحر لا ينجيه منه إلاّ الله (تع).

يقال أن هذا الموجود هو العقل الذي فيه خبر رسول الله (صلعم)، أول ما خلق الله العقل، وفي خبر آخر قال له: أقبل، فأقبل (الحديث) فأعطى هذا العبد الذلّ والإنقياد لنور هذا الوجود، إذ لا يقدر على صدّه، وغايته، فعجز عن معرفته، فقيل له هيهات لا تعرفه بغيره، فأمدّه الله بنور أسمائه، فقطع ذلك كلمح البصر أو كما شاء الله نرفع درجات من نشاء، فأمدّه الله بنور روح رباني، فعرف به هذا الموجود فرقّاه إلى ميدان روح الرباني، فذهب جميع ما تجلّى به هذا العبد، وتخلّى عنه بالضرورة، وبقي كلا شيء موجود، ثم أحياه الله بنور صفاته، فأدرجه بهذه الحياة في معرفة هذا الموجود الرباني، فلما استنشق من مبادىء صفاته كاد أن يقول هو الله، فلحقته العناية الأزلية، فنادته ألا إن هذا الموجود هو الذي لا يجوز لأحد أن يصفه ولا أن يعبر عنه بشيء من صفاته لغير أهله، لكن بنور غيره يعرفه، فأمده الله بنور سر الروح، فإذا هو قاعد على باب ميدان السر، فوقع همته ليعرف هذا الموجود الذي هو السر، فنهى عن إدراكه، فتلاشت جميع أوصافه، كأنه ليس بشيء،

ثم أمده الله بنور ذاته، فأحياه به حياة باقية لا غاية لها، فنظر جميع الموجودات بنور هذه الحياة، فصار أصل الموجودات نور شايع في كل شيء لا يشهد غيره، فنودي من قريب: لا تفتر بالله، فإن المحجوب من حجب عن الله بالله، إذ محال أن يحجبه غيره فيحي بحيات استودع الله فيه، فقال: أي رب بك منك حتى لا أرى غيرك، فهذا هو سبيل الترقي إلى حضرة العلي الأعلى، وهو طريق المحبين من أبدال الأنبياء، والذين يعطي أحدهم من بعد هذا ألا يقدر أحد أن يصبغه منه ذرّته والحمد لله على نعمائه والصلاة على خاتم أنبيائه.

الفصل الثالث والخمسون:

طريق المحبين وأحوالهم وبحار الطريق

وأما الطريق المخصوص بالمحبوبين فهو منه إليه إذ محال أن يتوصل إليه بغيره، فأول لهم بلا قدم أن ألقى عليهم من نور ذاته، فغيبهم عن عبادة وحبب إليهم الخلوات، وصغرت لديهم الأعمال الصالحات، وعظم عندهم رب الأرضين والسماوات، فبينما هم كذلك إذ ألبسهم ثوب العلم ، فنظروا، فإذا هم لا هم، ثم أردف عليهم ظلمة غيبتهم عن نظرهم، بل صار عدماً لا علّة له، فأطمست جميع العلل، وزال كل حادث بلا حادث ولا وجود، بل ليس إلاّ العدم المحض الذي لا علة له، وما لا علة فلا معرفة، فتعلق به واضمحلّت المعلومات وزالت المرسومات زوالاً لا علة فيه، وبقي من أشير إليه لا وصف له ولا صنعة له ولا ذات، فهناك ظهر من لم يزل ظهوراً لا علة فيه، بل أظهر سره لذاته في ذاته ظهوراً لا أولية له بل تظر من ذاته لذاته بذاته في ذاته، فحي هذا العبد بظهوره حياة لا علة فيها، فظهر بأوصاف جميلة كلها لا علة لها، فصار أولاً في الظهور لا ظاهرة قبله، فوجدت الأشياء بأوصافه، وظهرت بنوره في نوره، فأول ما ظهر سره، فظهر به قلمه، ثم ظهر

أمره بسرّه في سره، وظهر بأمره الذوات في نور القلم بنور القلم، ثم ظهر عقله بأمره في أمره، فظهر به عرشه في نور لوحه بنور لوحه، ثم ظهر بعقله وظهر بروحه كرسيه في نور عرشه بنور عرشه، ثم ظهر قلبه بروحه في روحه، فظهر بقلبه حجبه في نور كرسيه بنور كرسيه، ثم ظهر نفسه بقلبه في قلبه، فظهر بنفسه فلك للخير وللشر في نور حجبه بنور حجبه، ثم ظهر جسمه بنفسه في نفسه، فظهر بجسمه أجسام العالم الكثيف من أرض وسماء، وعلى الجملة كل كثيف في نور الفلك بنور الفلك.

أول قدم

فإذا أول قدم هذا المحبوب الفرد، طرح النفس عدماً، فهو طرح لا علة فيه: وهو استقبال العدم بسقوط الأولية والآخرية والظاهرية والباطنية فيكون استقبال صفة معدومة لمعدوم، ومعناه انتهى العبد بدليل العلة، وهو شهود العدم المحض، ومعنى قيام الدليل الذي لا علة فيه ضرورة عدم المخلوقات المشهودات، هو ذلك، فترادف عليه ذلك العدم المحض، وهو سكرة النسيان الدائم أبداً والحياة السابقة، فهذا طريق علوي، أول ما طرح العبد هنا في بحر الذات، فانعدم فأحيي حياة طيبة، فأنقل من تنقل بحر الصفات، ثم بحر الرباني، ثم بحر السر، ثم بحر القلم الأصلي، ثم بحر الروح، ثم بحر القلب، ثم بحر النفس، ثم بحر الحس.

ثم لقيه بحر السر فطرحه في بحر القلمية، ثم بحر اللوحية، ثم بحر العرشية، ثم بحر الكرسي، ثم بحر الحجبية، ثم بحر الفلكية، ثم بحر الأبالسة، ثم بحر الجنيّة، ثم بحر الأنسية.

فلقي هناك بحر السر فطرحه في بحر الخبات، ثم بحر النيران، ثم طرحه في بحر الإحاطة، وهو بحر السر فغرق هناك غرقاً لا

خروج له أبداً إلاّ بإذن، فإن شاء بعثه أرضاً من النبي يحي به عباده، وإن شاء ستره، ويفعل في ملكه ما يشاء.

وكل بحر من هذه الأبحر قد انطوت فيه أبحر شتى.

لو دخل الصالح الذي هو بدل النبي في أقل بحر من هذه الأبحر لغرق فيه غرقاً لا نجاة له منه، فهذه عبرة من بيان طريق الخصوص والعموم. والحمد لله على كل كاشف الغموم والصلاة على منبع العلوم.

الفصل الرابع والخمسون:

الشريعة والطريقة والحقيقة

وأما الشريعة والطريقة والحقيقة والمعرفة فاعلم أن الحقيقة هي أن ترى الله هو المتصرف في خلقه: يهدي، ويضل، ويعز، ويذل، ويوفق، ويخذل، ويولي، ويعزل، وينصب.

فالخير والشر والنفع والضر والإيمان والكفر والتصديق والنكر والفوز والخسران والزيادة والنقصان والطاعة والعصيان والجهل والعرفان بقضائه وقدره وحكمه ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج من مشيئته لفظة وخطرة وذرة في العالم لأراد الحكمة ولا معقب لقضائه وقدره، ولا مهرب من معصيته إلاّ بتوفيقه ورحمته، ولا قوّة على طاعته إلاّ بإرادته ومعونته ومحبته.

فعرفنا أن هذه الصفات التي أصدرت بالقضاء والقدر حقيقة، ثم إن الله تعالى جعل للعبد كسباً واختياراً ميّزه بها عن الجمادات والبهائم. ثم جعل العبد قادراً على الفعل وجعل له نية قصد يختار بها الفعل ليمتاز بها عن المكروه والمحظور.

ثم أن الله تعالى أرسل الرسل، وأنزل الكتاب وأمر بالإيمان

والطاعة والنهي عن الكفر والمعصية، وأخفى عن العباد ما علمه من أحوالهم، وما أراد من أفعالهم. فمن كان في علم الله القديم ومشيئته السابقة سعيداً ليس له الطاعة، ومن كان شقياً عسر منه الطعاء:

فالاعتبار بالخاتمة وهي السابقة وله الحجة البالغة، وسطوة قهره دافعة لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

فأن قيل ما الفرق بين الشريعة والحقيقة قلت: الشريعة ما ورد به التكليف، والحقيقة ما ورد به التعريف.

فالشريعة مؤيدة بالحقيقة، والحقيقة مقيدة بالشريعة.

فمن كل وجه كل شريعة حقيقة، وكل حقيقة شريعة، وفي عرف القوم فرق بينهما.

فالشريعة بواسطة الرسل والحقيقة تقريب بغير واسطة، وربما يُشار بالشريعة إلى الواجبات بالأمر والزجر، وبالحقيقة إلى المكاشفات بالسر.

والشريعة وجود الأفعال، والحقيقة شهود الأحوال به.

والشريعة بشروط الفرق حقيقة الكون بحقوق الجمع.

والشريعة القيام بشروط العلم والحقيقة الإستعلام لغلبات الحكم.

والشريعة خطابه لعباده وكلامه الذي أوصله إلى خلقه بأمره ونهيه ليوضح لهم. الحجة ويقيم به الحجة، والحقيقة تصريفه في خلقه وإرادته ومشيئته التي يخص بها من اختار من أحبابه ويقضي بها على من أبعده عن بابه.

وقيل: الشريعة خطابه وكلامه والحقيقة تصريفه وأحكامه.

وقيل الشريعة الأمر والنهي والحقيقة ما قضى ما أخفى وما أظهر.

وقيل الشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشهده.

وقيل الشريعة دعوته والحقيقة تقريبه ومودته ومحبته.

وقيل الشريعة الكتاب والسنة والحقيقة مشاهدة القهر والمنى.

وقد جمع الله تعالى بين الشريعة والحقيقة في آيات كثيرة:

منها قوله ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾[1] (الآية) وهذه شريعة ﴿وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله﴾[2]، فهذه حقيقة. ومنها قوله. فمن شاء ذكره، فهذه شريعة، وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله، فهذه حقيقة، ومنها قوله. تعليماً لنا إياك نعبد. حفظ للشريعة وإياك تستعين: إقرار بالحقيقة، وإياك نعبد فيه إثبات الكسب للعبد، وإضافة العبادات إليه. (وإياك نستعين) فيها رد الأمر إلى الله. وأن العبادة بعونه وتسخيره.

وقيل (إياك نعبد) أي لا نعبد إلاّ إياك، ونشرك في عبادتك غيرك، فهذا مقام الشريعة. (فإياك نعبد) مقام الأبرار (وإياك نستعين) مقام المقربين.

فالأبرار قائمين لله والمقربين قائمين بالله.

(وإياك نستعين) أي لا نستعين إلاّ بك لا بأنفسنا وحولنا.

---

(٢) ٧٦/٣٠،

(٣) التواب.

العمل الأول

فالعمل الأول هو العمل لله، والعمل الثاني هو العمل بالله. فالعمل لله يوجب المثوبة(٣).

والعمل بالله يوجب القربة، والعمل لله يوجب تحقيق العبادة، والعمل بالله يوجب تصحيح الإرادة، والعمل لله نعت كل عابد، والعمل بالله نعت كل قاصد، والعمل لله القيام بالأحكام الظاهر، والعمل بالله القيام بالضمائر.

فمن زعم من التمسك بالحقيقة يغني عن اتباع الشريعة، فهو باطل. وقد تبيّن أن الحكم بالأسباب ومراعاة الأمر والنهي فرق وعبودية وشريعة.

والنظر إلى تصريف الله في خلقه جمع وتوحيد وحقيقة.

الحقيقة

فالحقيقة إذا باطن الشريعة، فلا يغني ظاهر عن باطن، ولا باطن عن ظاهر، فالمعرفة تحقق هذه الثلاثة ولزومه، ودركه.

واعلم أن الحقيقة نتيجة الطريقة، والطريقة نتيجة الشريعة، فأنك إذا صفيّت الشريعة يعني إذا علمت بما هو أقرب إلى الورع والتقوى غير ملاحظ إلى الرخصة تظهر منها الطريقة، وإذا فتحت الطريق تظهر منها أسرار الحقيقة، وليس المراد أسرار الحقيقة بالرخصة هنا ما هو كقصر الصلاة والجمع والفطر وغيرها، بل المراد مثل مدارات الناس والإقبال على الأسباب من وجه الحلال، وإدّخار الأموال بعد إخراج زكاتها، وإعداد النوائب، فهذا كله مباح في الشرع، إلاّ أنه نزول عند القوم عن درجة الزهد والتوكل.

---

(١) ٢٨/٨١، سورة الإنفطار.

وقيل عن الشريعة والطريقة والحقيقة: إذا أكل الصائم عمداً بَطُل صومه في الشريعة، وإذا اغتاب أفطر صومه في الطريقة، وإذا خطر بباله ما سوى الله أفطر صومه في الحقيقة، فلا يمكن الوقوف على أسرار الحقيقة، إلاّ بإثبات الأعمال المبيّنة ببيان صاحب الشرع لأن كل طريقة تخالف الشريعة فهي كفر. وكل حقيقة لا يشهد لها الكتاب والسنة فهي الإلحاد والزندقة.

قال الشيخ نجم الدين الكبرى. الشريعة كالسفينة والطريقة كالبحر والحقيقة كالدرّ فمن أراد ركب في السفينة، ثم شرع في البحر، ثم وصل الدرّ، فمن ترك هذا الترتيب لا يصل إلى الدرّ.

فأول شيء وجب على المطالب فهو الشريعة والمراد منها أوامر الله ورسوله من الغسل والوضوء والصوم والصلاة وغير ذلك من الأوامر والنواهي.

الطريقة

والطريقة هي الأخذ بالتقوى وما يقربك إلى الله زُلفى من قطع المنازل والمقامات وأماّ الحقيقة فهي الوصول إلى المقصد ومشاهدة نور التجلي، كما قيل في الصلاة: خدمة وقربة ووصلة.

فالخدمة في الشريعة، والقربة في الطريقة، والوصلة في الحقيقة، والصلاة جامعة لهذه الخصال الثلاثة.

كما قيل: الشريعة أن تعبد الله، والطريقة أن تحضره، والحقيقة أن تشهده. وقال عليه السلام: الشريعة أقوال والطريقة أفعال والحقيقة أحوال، والمعرفة رأس المال.

وأما طهارة الشريعة بالماء والتراب، وطهارة الطريقة بالتخلية عن الهوى، وطهارة الحقيقة خلوّ القلب عما سوى الله تعالى.

فمن زعم أن العبور حجب البشر، والوقوف على أسرار الطريقة والحقيقة بما يخالف الشريعة فقد طغى وغلبت عليه الضلالة والنسيان، واستهوته الشياطين في الأرض حيران، حتى أبقتة في أودية الهجران، وأهلكته في قيعان الخسران، إلاّ من تاب وآمن، وتاب عليه الرحمان.

الفصل الخامس والخمسون:

أقسام التصوّف ومراتبها وأحوالها

وأما التصوف ومراتبها:

التوبة

فالتوبة على ثلاثة أقسام:

توبة العام وهي من الذنوب والسيئات

وتوبة الخاص وهي أن يخلى قلبه من معرفة ما سوى الله

وأتابة الأخص وهي أن تستغرق روحه بمحبة الله، لا بحبه غير الله.

والعبودية على ثلاثة أقسام هي:

عبودية العام وهي إتيان الطاعة.

وعبودية الخاص وهي الإخلاص في الطاعة.

وعبودية أخص الخاص الغيبة عن رؤية الإخلاص في الطاعة.

والمجاهدة على ثلاثة أقسام:

فمجاهدة العام وهو مع الكافر الظاهر

ومجاهدة الخاص وهو مع الكافر الباطن

ومجاهدة الأخص مع النفس

والزهد على ثلاثة أقسام:

فزهد العام ترك الحرام

وزهد الخاص ترك الفضول من الحلال

وزهد الأخص ترك ما يشغله عن الله تعالى

والورع على ثلاثة أقسام:

ورع العام إن لا يتكلم إلا بالله ساخطاً أو راضياً

والورع الخاص وهو أن يحفظ كل جارحة عن سخط الله

وورع الأخص وهو أن يكون شغله برضا الله به

التقوى وهو على ثلاثة أقسام:

تقوى العام باللسان: وهو إيثار ذكر من لم يزل على ذكر من لم يكن فكان

تقوى الخاص بالأركان: وهو إيثار خدمة من لم يزل ولا يزال على خدمة من لم يكن فكان

وتقوى الأخص بالجنان: وهو إيثار محبة من لم يزل ولا يزال على من لم يكن فكان

والتوكل هو على ثلاثة أقسام:

توكل العام وهو على الشفاعة

وتوكل الخاص وهو على الطاعة

وتوكل الأخص وهو على العناية

اليقين وهو على ثلاثة أقسام:

يقين العام وهو على علم اليقين.

ويقين الخاص وهو على عين اليقي.ن

ويقين الأخص وهو حق اليقين.

الخوف وهو على ثلاثة أقسام:

خوف العام وهو من عقوبة الله.

وخوف الخاص وهو من فراق الله.

وخوف الأخص وهو من الله.

الرجاء وهو على ثلاثة أقسام:

رجاء العام وهو يرجو عفوه ويخاف أخذه.

ورجاء الخاص وهو أن يرجو فضله ويخاف عدله.

ورجاء الأخص هو أن يرجو فضله ويخاف هجره.

الصبر وهو على ثلاثة أقسام:

صبر العام وهو من المعصية.

وصبر الخاص وهو على الطاعة.

وصبر الأخص هو مع الحق مع المعية.

الشكر وهو على ثلاثة أقسام:

شكر العام بالقول وهو الحمد.

شكر الخاص بالفعل وهو البذل.

شكر الأخص وهو معرفة النعم من المنعم.

الرضا وهو على ثلاثة أقسام:

رضا العام بدين الله وهو موافقة في الدين.

رضا الخاص بثواب الله وهو أن يعمل لوجه الله رجاء ثوابه.

رضا الأخص وهو الله بالله.

الحياء وهو على ثلاثة أقسام:

حياء العام وهو من التقصير.

حياء الخاص وهو من الإسراف.

وحياء الأخص وهو من الجلال.

الصدق على ثلاثة أقسام:

صدق العام وهو في الأقوال.

صدق الخاص وهو في الأفعال.

وصدق الأخص في الأحوال.

الاخلاص وهو على ثلاثة أقسام:

إخلاص العام وهو تصفية العمل في المكدورات.

إخلاص الخاص وهو إخراج الخلق من المعاملات.

وإخلاص الأخص وهو نسيان رؤية الخلق بدوام رؤية القلب إلى عالم الخفيات.

الحلم وهو على ثلاثة أقسام:

حلم العام وهو العفو عن الجاني مع اضمار الحذف باطناً.

حلم الخاص وهو العفو عن الجاني مع اضمار الخير له باطناً.

حلم الأخص وهو العفو عن الجاني مقروناً بالبر إليه.

الأدب وهو على ثلاثة أقسام:

أدب العام وهو ترك ما لا يعني وإن كان صادقاً.

أدب الخاص وهو أن يعرف الخير فيحث نفسه عليه ويعرف الشر فيزجرها عنه

أدب الأخص وهو المعرفة في النعم والنقم.

القناعة وهي على ثلاثة أقسام:

قناعة العام وهي بالقوت.

قناعة الخاص وهو بالذكر.

قناعة الأخص وهي برؤية الله.

الفقر وهو على ثلاثة أقسام:

فقر العام وهو أن لا يطلب المعلوم حتى يفقد الموجود.

فقر الخاص وهو السكوت عن العدم.

وفقر الأخص وهو البذل والإيثار عند الوجود.

العافية وهي على ثلاثة أقسام:

عافية العام وهو أن يكون لسانه رطباً بذكر الله ولا يشغل.

بذكر الله مع غير الله.

عافية الخاص وهو أن يكون أركانه مشغولاً بخدمة الله عن خدمة غير الله.

عافية الأخص وهو أن لا تكون همته إلى غير الله.

البلاء وهو على ثلاثة أقسام:

بلاء العام وهو للتأديب.

وبلاء الخاص وهو للتذهيب.

وبلاء الأخص وهو للتقريب.

الطمأنينة وهي على ثلاثة أقسام:

طمأنينة العام وهي لذكر الله.

وطمأنينة الخاص وهو بذكر الله.

وطمأنينة الأخص وهو بالله.

الإعتصام وهو على ثلاثة أقسام:

اعتصام العام وهو بدين الله.

اعتصام الخاص وهو بحبل الله.

اعتصام الأخص وهو بالله.

الإستقامة وهي على ثلاثة أقسام:

استقامة العام وهو بالخدمة.

استقامة الخاص وهو بصدق الهمة.

استقامة الأخص وهو بتعظيم الجهة أي الحرمة.

الشوق هو على ثلاثة أقسام:

شوق العام وهو إلى الدنيا.

شوق الخاص وهو إلى العقبى.

وشوق الأخص وهو إلى المولى.

فمن اشتاق إلى الدنيا اشتاقت النار إليه.

ومن اشتاق إلى العقبى اشتاقت الجنة إليه.

ومن اشتاق إلى المولى اشتاق المولى إليه.

الأنس وهو على ثلاثة أقسام:

أنس العام وهو بالخلق.

وأنس الخاص وهو بذكر الله.

وأنس الأخص وهو بالحق.

فالأنس بالخلق همّ واقع.

والأنس بذكر الله شيء نافع.

والأنس بالحق نور ساطع.

المعرفة هي على ثلاثة أقسام:

معرفة العام وهو المعرفة بأفعال الله.

ومعرفة الخاص وهو المعرفة بصفات الله.

ومعرفة الأخص وهو المعرفة بذات الله.

فالمعرفة بأفعال الله مقام عوام المؤمنين.

والمعرفة بصفات الله مقام خواص المؤمنين.

والمعرفة بذات الله مقام الأولياء والأنبياء والمرسلين.

المشاهدة على ثلاثة أقسام:

مشاهدة العام وهو بالحق.

ومشاهدة الخاص وهو للحق.

ومشاهدة الأخص وهو الحق.

فالمشاهدة بالحق رؤية الأشياء بالدلائل.

والمشاهدة للحق رؤية الحق في الأشياء.

ومشاهدة الحق شهود الحق بلا أشياء.

والقرب على ثلاثة أقسام:

قرب العام وهو فقد حسن الأشياء.

قرب الخاص وهو سكون الضمير مع عالم الغيب.

قرب الأخص وهو رفع الحجاب بينه وبين الرب.

الفكر هو على ثلاثة أقسام:

فكر العام وهو في آلاء الله فيحصل منها معرفة.

فكر الخاص وهو في وعد الله وثوابه فيحصل منها الرغبة إلى ثواب الله.

فكر الأخص وهو في وعيده وعقابه فيحصل منها الرهبة من عقابه.

الذكر وهو على ثلاثة أقسام:

ذكر العام وهو باللسان وقلبه غافل.

ذكر الخاص وهو باللسان وقلبه حاضر.

ذكر الأخص وهو بالقلب الحاضر.

والسماع وهو على ثلاثة أقسام:

سماع العام وهو يستمع من نفسه.

وسماع الخاص هو يستمع من قلبه.

وسماع الأخص وهو يسمع بروحه.

فالسماع على العوام حرام لبقاء نفوسهم.

وعلى الخواص مباح لحصول مشاهدتهم.

وعلى الأخص مستحب لتحقيق شهودهم.

والوجد وهو على ثلاثة أقسام:

وجد العام وهو غثيان الروح من استلذاذ الذكر.

ووجد الخاص وهو من عجز الروح من احتمال غلبة الشوق عند وجود حالة الذكر.

ووجد الأخص وهو من عجز خشوع الروح عند مطالعته الحق عن السر.

الولاية وهي على ثلاثة أقسام:

لاية العام وهي الخروج من العداوة.

وولاية الخاص وهي الإقتصاص بالمحبة.

وولاية الأخص وهي الإصطفاء بالولاية.

النفس وهي على ثلاثة أقسام:

نفس العام وهي الأمارة.

ونفس الخاص وهي اللوامة.

ونفس الأخص وهي المطمئنة بالإيمان.

القلب على ثلاثة أقسام:

قلب العام وهو يطير في الدنيا حول الطاعات.

وقلب الخاص وهو يطير في العقبى حول الكرامات.

وقلب الأخص وهو يطير في سدرة المنتهى حول الأنس والمناجاة.

الروح وهو على ثلاثة أقسام:

أرواح الأعداء وهي في الجحيم معذبون.

وأرواح الأولياء وهو في النعيم منعمون.

وأرواح الأنبياء وهو عند الكريم مكرمون.

والسر على ثلاثة أقسام:

سر الإنسان وهو المودع فيه لطف من الروح، والروح من القلب.

وسر الأشياء وهو وجه مظهر الأشياء.

وسر الله وهو ما لا اطلاع عليه إلاّ للأنبياء وأخص الأولياء.

الفصل السادس والخمسون:

اللطائف العشرة وأشغالها وأربابها

وأما اللطائف فاعلم المجددي أمام الرباني واتباعه حققوا أن الإنسان مركب من عشرة لطائف: خمسة من عالم الأمر وخمسة من عالم الخلق.

فالخمسة الأُول: القلب والروح والسر والخفى والأخفى

والخمسة الأُخر: لطيفة النفس، العناصر الأربعة، علم الأمر على ظهور بمجرد أمر كان، وعالم الخلق على ما خلق بالتدرج، ودائرة الإمكان تضمنه لهذين العالمين: نصفها السافل من العرش إلى الثرى، ونصفها العالي فوق العرش وهو عالم الأمر وعالم الخلق تحت العرش.

ولما خلق الله تعالى الهيكل الجسماني أودع هذه اللطائف الآمرة بمواضع مذكورة من جسم الإنسان بالتعلق والتعشق له.

وإذا اشتملت عناية الحق حال العبد يوصله إلى خدمة ولي من أوليائه، وذلك الولي يأمره بالرياضات والمجاهدات لتذكية الباطن وتصفيته، ويوجه لطائفه إلى أصوله بما فيها كثرة الاذكار والأفكار، وفي هذه الطريق ثلاثة أشغال:

الأول: الذكر سواء إسم الذات والنفي والإثبات كما سبق

الثاني: المراقبة وهي عبارة عن انتظار الفيض من المبدأ الفيّاض وملاحظ وروده على مورده، وهو لطيفة من لطائف السالك، وهذه اللطيفة يقال لها مورد الفيض، ولهذا عُيّن لكل مقام مراقبة من المراقبات فعينوا لدائرة الإمكان مراقبة الأحدية وهي عبارة عن مراقبة الذات الجامعة بجميع صفات الكمال والمنزّه عن جميع النقصان، وهو مسمى الإسم المبارك: الله، فيلاحظ ورود الفيض، من تلك الذات على لطيفة القلب، وفي بعض الأحيان يُشتغل بهذه المراقبات بلا ذكر، ولا يفيد الذكر بلا مراقبة.

الثالث: الرابطة وهي عبارة عن حفظ السالك صورة شيخه في مدركه وفي قلبه أو يتصور صورته بأنها صورة شيخه، فإذا عنيت الرابطة على السالك يرى صورة شيخه في كل شيء ويقولون لهذا: الفناء في الشيخ.

فالطريق الرابطة هي أقرب الطرق ومنشأ ظهور العجائب والغرائب، فالذكر وحده بلا رابطة وبلا فناء في الشيخ ليس موصولاً، فالرابطة وحدها مع رعاية آداب الصحبة فكافية في الإيصال.

الفصل السابع والخمسون:

الفناء والبقاء والواردات

وأما الفناء والبقاء والواردات فاعلم أن أكابر النقشبندية جعلوا أصل الفائدة في الجمعية والحضور وأنهم لا يمدون أيديهم إلى كل رطب ويابس، ولا يتوجهون إلى الصور والأشكال الغيبية ولا يعتبرون الكشف والأنوار، ويرغبون بحصول أمور أربعة: الجمعية والحضور والجذبات والواردات.

فالجذبات عبارة عن انجذاب اللطائف إلى جهة الفوق.

والواردات عبارة عن ورود حال من جهة الفوق على القلب بحيث لا يطيق تحمله إلاّ بتعستر ويقولون إن لهذه الواردات في هذه الطريقة الاعدام والوجودات، وهذا الوارد يرد على السالك في ابتداء حاله أحياناً بل يرد في شهر مرة بعد مرة، ثم يُكثر وروده فيرد في الأسبوع مرة، وفي كل يوم، بل في اليوم مرات إلى أن يصل من التواتر إلى التواصل، فيحصل اتصال الواردات، وهذا العدم الوجود هو الفناء والبقاء في جهة الجذبة.

لكن متى يتحقق فناء القلب زال من ساحة الصدر التعلق

العلمي واللجوء إلى ما سواه، ولم يظهر خطورة[1] السوى أصلاً.

وفناء القلب يصير في تجليات الأفعال الإلهية: يعني في رؤية أفعال ما سوى الحق آثار فعله تعالى، وإذا غلبت هذه الرؤية على السالك يرى أيضاً صفات الممكنات وذواتها مظهر صفات الحق وذاته، ويترنم بالتوجيه الوجودي وهو عبارة عن رؤية وجود الممكنات أمواج وجوده، ويرى ذاته تموج في بحر وجود حضرة الحق. ويقول أرباب توحيد الوجود لهذه الطريقة: الفناء في الله.

وإذا استغرق السالك في هذا البحر لا يجد لبصيرته مشهوداً سوى البحر، وكلما نظر إلى كل جانب لا يرى غير البحر وأمواجه بل يجد ذاته قطرة من هذا البحر ويرتفع من نظره إيثار القطرة أيضاً لكمال الإستغراق.

(١) هكذا وردت في الأصل.

الفصل الثامن والخمسون:

وحدة الوجود والشهود والكشوف

وأما وحدة الوجود والشهود والكشوف فقال الإمام جعفر: إن الله تعالى أول الأول وآخر الأخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن، فسقطت هذه المعاني وبقي هو. وهذا معنى قولهم: التوحيد إسقاط الإضافات.

فاعلم أن التوحيد الوجودي هو الذوق والشوق والوارد ووضوح أسرار المعية والتاه والصحية والغيبة والإستغراق والرقص والسماع والوجد والتواجد. وكلها في سير لطيفة القلب: فإن سيرها أولاً في دائرة الإمكان.

ومن أحوال هذه الدائرة: الجذب والحضور والجمعية والواردات والكشف الكوني وكشف الأرواح وكشف عالم المثال.

وسير عالم الملك وهو عبارة عن تحت الأفلاك.

وسير عالم الملكوت وهو عبارة عن عالم الملائكة والأرواح والجنة وما فوق السماوات وكلها داخلة في دائرة الإمكان، بل تشاهد أمثال هذه الشعبدات[1] في نصفها السافل. ويقولون لهذا

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

السير: الأفاقي بل كمال الحضور والجمعية والجذبات القوية: يحصل في الدائرة الثانية التي هي عبارة عن سير تجليات الأفعال الإلهية.

سير ظلال الأسماء والصفات وهي المسماة بدائرة الولاية الصغرى اضمحلال توجهه إلى الفوق وإحاطته بالجهات الست، وأن يرى معيته تعالى اللامثلية بالإدراك اللامثلي.

وينكشف أسرار التوحيد الوجودي ومنشأ ذلك أنه يظهر للسالك بسبب كثرة العبادات والمجاهدات، وترك المألوفات والمرغوبات ودوام الذكر والفكر، وغلبة العشق، والمحبة للمحبوب الحقيقي، وينجذب قلبه ويتوجه إلى جناب القدس، وهذ المجاهدات والترك ءذا وقعت منه موافقة لأتباعه عليه السلام تصفي باطنه من علاقات السوء، وتخلي قلبه من وسخ الغفلة إلى حدّ يكون باطنه مرايا تعكس ضلال الأسماء والصفات الواجبية.

وحيث لم ير السالك العاشق المسكين محبوبه، وقد وصل إليه تعشقه بتصور الصفات، وعكوس الظلال عين المحبوب فيتكلم بالشطحيات، ويرى صورة محبوبه مرآة باطنه ويكون غائباً ومدهوشاً ويقع في سره خيال الوصال، ولا يفرق لغاية عطشه بين الظل والأصل، فلا جرم يتفوه ويجهر بالإتحاد والعينية.

وتصل غلبة هذه الرؤية عليه إلى حدّ يرتفع عن نظره، تعيّنه وتشخّصه أيضاً ويقول جهراً: سبحاني وأنا الحق. وحيث ورد في الحديث القدسي: أنا عند ظن عبدي بي يعاملونه بموافقة ظنه ولما فني صاحب هذه الحالة عن نفسه وعن حظوظه فهو بعيد عن الطعن واللؤم. وداخل في زمرة الأولياء والمجذوبين للحق سبحانه.

واعلم أن التكلم بكلمات التوحيد ووحدة الوجود قبل وصول

القلب إلى الدائرة الثانية التي هي مقام انكشاف التوحيد خلاف الشريعة، فتخيل العوام مراقبة التوحيد لايزيدهم غير خسارة الدنيا والآخرة.

الفصل التاسع والخمسون:

الولاية الصغرى وسيرها وفناء اللطائف

وأما الولاية الصغرى وهي عبارة عن سير تجليات الأفعال الإلهية، وسير ظلال الأسماء والصفات مبدأ لتعيينات جميع الممكنات، سوى الأنبياء والملائكة عليهم السلام، وإن كل فرد من أفراد العالم يصل إليه الفيوضات بتوسط الصفات والظلال، التي هي وسائط بين المخلوقات وذات حضرة الحق، ولو لم تكن هذه الأسماء والصفات لما وجد العالم الذي كان علماً محضاً، لأن الحضرة الموصوفة بالإستغناء ليس لها مناسبة بالعالم. إن الله لغني عن العالمين، فكل شخص من أفراد العالم يصل إليه فيوض وكمالات بواسطة يقولون لها: مبدأ تعيين هذا الشخص وحقيقته. ويسمونه أيضاً: العين الثابتة.

وما قالته الصوفية من أن الطرق إلى الله تعالى بعدد أنفاس الخلائق إشارة إلى هذه الظلال، وإذا دخلت هذه اللطيفة في دائرة الولاية الصغرى تفنى وتستهلك في أصل أصله وحقيقته، وتبقى بحقيقته هذه.

١ ـ ففناء لطيفة القلب يصير في التجلي الفعلي، وفي هذا

الوقت تختفي عن نظر السالك أفعاله وأفعال جميع المخلوقات، ولا يرى في نظره غير الفعل الفاعل الحقيقي، ويسمون ولاية هذه اللطيفة: ولاية آدم عليه السلام، ويقولون للسالك الواصل إلى مقصوده من طريق هذه الولاية: آدميّ المشرب.

٢ ـ وفناء لطيفة الروح يصير في الصفات الثبوتية لحضرة الحق سبحانه، وفي هذا الوقت يرى السالك صفاته وصفات جميع المخلوقات مسلوبة عنه، ويرى كلها منسوبة إلى الله تعالى.

لما كان وجود الأصل أصلاً لجميع الصفات، ينفي السالك وجوده ووجود الممكنات ويثبته الله تعالى وحده، فلا جرم بالتوحيد الوجودي. ويقولون للولاية هذه ولاية نوح وإبراهيم عليهما السلام.

ويقولون للسالك الواصل من هذه الولاية: إبراهيمي المشرب

٣ ـ وفناء لطيفة السر يصير في شؤون ذات الله تعالى، وفي هذا المقام يجد السالك ذاته مضمحلة في ذات الحق سبحانه.

يقولون لولاية هذه اللطيفة ولاية موسى عليه السلام، والسالك الواصل هذه في هذه الولاية: موسوي المشرب.

٤ ـ وفناء لطيفة الخفي يصير في صفات السلبية له تعالى، وفي هذا المقام يفرد السالك خباب كبريائه تعالى عن جميع المظاهر. ويقولون لولاية هذه اللطيفة: [ولاية عيسى عليه

السلام، والسالك الواصل من هذه الولاية: عيسوي المشرب.

٥ ـ وفناء لطيفة الأخفى يصير في مرتبة الشأن الإلهي الجامع لهذه المراتب كلها، وفي هذه المقام يصير السالك متخلقاً بأخلاق إلهية.

إعلم أن ولاية هذه اللطائف كلها تكون في ولاية الدائرة الصغرى. واعلم أنهم كما يأمرون في دائرة الإمكان بمراقبة الأحدية، كذلك يأمرون في ولاية الصغرى بمراقبة المعيّة التي هي مفهومه، ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (الآية). وتام سير دائرة الإمكان يعرفه السالك، إن كان له كشف أو يخيره الشيخ إن كان صاحب كشف، وإن لم يكن لهما كشف فينبغي أن يلاحظ السالك جميعه قلبه، فإن بلغ انتقاء الخواطر

أوقاتها إلى أربع ساعات كاملات (فج) يشرع في المراقبة المعيّه بأن يلاحظ معيته تعالى به وبجميع لطائفه وعناصره، بل بكل ذرّة من ذرّات الممكنات، حتى تدرك معيته تعالى إلى المُثلية بالإدراك اللامثلي، وتحيط بالجهات الست، ويضمحل التوجه والحضور الذي كان قد ظهر ففي ذلك الوقت يشرع في سير االولاية الكبرى.

الفصل الستون:

الولاية الكبرى وسيرها والمراقبات

وأما الولاية الكبرى وهي عبارة سير دائرة الأسماء والصفات وشؤونات الذات له تعالى.

فاعلم أنه لما ورد على السالك أسرار التوحيد الوجودي وسير المعيّة، كان يرى في وجدانه نوراً من العرش المجيد، بل فوقه إلى الثرى، محيطاً به وبكل ذرّة في الممكنات، ولون ذلك النور لكونه لا لونياً كان مناسباً للسواد، وكان مصداق، كان الله في عماء. وقد رأى أنه طلع مثل الشمس من المطلع وانمحى ذلك النور الأسود الذي كان يظنه ذات الله تعالى، ولم يبق له آثر. ورأى أنه عاد وجود الممكنات، الذي كان يوجد مضمحلاً في ذلك النور الأسود إلى الظهور، كوجود النجوم في شعشعان نور الشمس.

ولكن لعدم كون حدة البصر في السير القلبي بقدر يقدر على التمييز بين وجود الممكن والواجب، كان يقال بالإتحاد.

ولما وهبوا له من عنايتهم حدة النظر في سير ولاية الكبرى التي هي ولاية الأنبياء، ومقام الصحو والإنتباه رأى أن لوجود الممكنات ثبوتاً واستقراراً البتّة.

ولكن يوجد لوجود الأشياء ظلياً أثراً من الوجود الإلهي. وقع على الاعدام وجعلها موجودة، أو كذلك يشاهد بأن صفات الممكنات صفاته تعالى، لا عينها وهذا هو معنى التوحيد الشهودي الذي يشاهد في لطيفة النفس ومن هنا يوجد معنى أقربيته تعالى.

الفرق بين المعية والأقربية:

فغاية المعية هي الإتحاد وكتمان الأثينية: وإن كان وجود الممكن مشهوداً ولكنه مُستفاد من حضرة الحق لا من ذات الممكن، وحقيقته عدم لا يمكن الإشارة إليه أصلاً.

فاعلم من هذا التحقيق أن وجود الأصل بالنسبة إلى وجود الظل أقرب إلى الظل، فإن ما ظهر من الأصل لا من النفس فإنه إذا نظر إلى وجوده يجده أثراً من الأصل. وإذا نظر إلى صفته يراها أثراً من صفات الأصل، فلا جرم يعترف بأقربية الأصل، كيف والقرب الذي ظهر الظل مع ذاته هو من وجود الأصل، فجاء الأصل أقرب إلى الظل من وجوده.

وبيان الأقربية لا يسعه التقرير. إذ أن العقل عاجز عن إدراك الأقرب إليه من ذاته، فإن هذه المعاملة وراء العقل وموقوفة على الإنكشاف.

واعلم أن دائرة الولاية الكبرى متضمنة الدوائر ثلاثة وقوس.

يفي أن نصف الدائرة الأولى من الدوائر الثلاثة للولاية الكبرى ينكشف فيه سر الأقربية والتوحيد الشهودي.

والنصف السافل لهذه الدائرة للأسماء والصفات الزائدتين.

والنصف العالي مشتمل على الشؤونات الذاتية.

وإلى الدائرة يكون للّطائف الخمسة الأمرية العروج.

ومورد فيض هذه الدائرة لطيفة النفس مع شراكة اللطائف المذكورة، ويتخيلون في هذه الدائرة الأقربية: يعني مفهوم الآية ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾، وإذا تيسّر العروج من دائرة الأقربية يقع السير في دائرة الأصل، [ومنها يترقى إلى دائرة الأصل الأصل.

ومنها إلى الأصل الثالث الذي هو عبارة عن القوس.

وفي هاتين الدائرتين وفي النصف يحصل كمال الإستهلاك والإضمحلال. وفي هذه الدائرة حقيقة الفناء.

وفي الولاية السابقة صورة الفناء.

ويعلمون في هاتين الدائرتين وفي النصف مراقبة المحبة: يعنى مفهوم الآية ﴿يحبهم ويحبونه﴾، ومورد الفيض فيها لطيفة النفس.

اعلم أن طريق المراقبة في هذه الدوائر أن يتخيل السالك ذاته في داخل تلك الدائرة ويلاحظ بأن فيض المحبة من دائرة أصل الأسماء والصفات يرد على لطيفة، أنائيتي[١]. وكذلك في دائرة أصل الأصل، فإن فيض المحبة منها يرد على لطيفة أنائيته. وكذلك في القوس الذي هو الأصل الثالث: بأن فيض المحبة منه يرد على لطيفة أنائيته.

وفي هذه الدوائر يفيد التوحيد بتهليل اللسان مع ملاحظة المعنى، وعلامة قطع بعض الدائرة. وتمامها هي أن الدائرة تنكشف للسالك كقرص الشمس، وكلما قطع من الدائرة شيء فعلى قدره يكون لها الظهور بالنورانية بكمال الشعشعان ومقدارها الذي لم يقطع بعلم، فإنه يُرى بلا نور كالشمس في وقت الكسوف.

---

(١) أنائيته: هكذا وردت في الأصل.

وعلامة تمام دائرة الولاية الكبرى: إن معاملة فيض الباطن التي كانت تتعلق بالدماغ هي تتعلق بالصدر (وح). يحصل شرح الصدر وسعة الصدر بقدر خارج عن البيان وسعة الصدر في السير القلبي خارج عنه.

رأيت في قلبي سموات متعددة وشاهدت فيه قلوباً كثيرة، ولكن كانت هذه الوسعة في القلب فقط.

وأما وسعة الصدر التي تحصل في الولاية الكبرى فتكون شاملة لتمام الصدر عموماً، وتكون في محل لطيفة الأخفى خصوصاً، وعلامة شرح الصدر بطريق الوجدان هي أن يرتفع الإعتراض على أحكام القضاء وفي هذا المقام يصير مطمئنة ويحصل لها الإرتقاء على مقام الرضاء. ويكون راضية على القضاء في جميع الأحوال والأفعال.

الفصل الواحد والستون:

الولاية العليا وسير إسم الظاهر والباطن

وأما الولاية العليا فاعلم أنه لما كان سوى الأنبياء والملائكة مبادىء التعينات وهي ظلال الأسماء والصفات. وقد سمّوا سير هذه المرتبة بالولاية الصغرى.

وللأنبياء الكرام مبادي التعينات، وهي الأسماء والصفات والشؤونات وقد سمّوا سير هذه المرتبة بالولاية الكبرى.

كذلك للملائكة العظام مبادىء التعيينات المسماة بالولاية العليا وسير العناصر سوى العنصر الترابي.

ولما تفضّل وتعطش الشيخ على السالك بالتوجه في دائرة الولاية الكبرى. فاضت عليه أحوال كل دائرة، وكيفياتها.

وإذا تفضّل أيضاً بتوجيه لأجل شرح الصدر رأى أن معاملة الدماغ تعلق بالصدر، ووجد وسعة وأدركت لعناصره الجذبات الإلهية، ووقع لها العروج، وورد عليها أحوال اللطيفة اللونية، وتيسّر فنأها الذي في الذات المسماة الباطن. وحصل لها الاضمحلال، وتيسّر لها بقأها بتلك المرتبة المتعالية، وحصلت المناسبة بالملائكة الكرام.

واعلم أن سير الولاية الكبرى كان في الإسم الظاهر، وسير الولاية العلياء كان في الإسم الباطن.

لأن سير إسم الظاهر يرد فيه التجليات الصفاتية من غير ملاحظة الذات.

وأما سير إسم الباطن فإنه وإن كان يرد فيه أيضاً تجليات الأسماء والصفات، ولكنه أحياناً يشاهد فيه الذات.

وقد كشفت الصورة المثالية لحضرة زائدة فرأى أنها ظهرت ولكن قد أحاطت بها الأسماء والصفات لحضرة الحق:

أما الخطوط الشعاعية للشمس: وقد يشاهد من غير الخطوط ولكنها تظهر وهي في كمال اللالونية. وتعود الخطوط الشعاعية إلى الإستيتار.

واعلم أن الولاية العلياء كاللب، والولاية الكبرى كالقشر، بل إن كل دائرة هي تحتانية بالنسبة إلى دائرة فوقانية.

بهذه المناسبة الاكمالات النبوة فإنها بالنسبة إلى الولاية لا تتصور فيها تلك المناسبة[1].

ويعلّمون هذه الدائرة: مراقبة الذات وهو الباطن: ومورد الفيض في هذه الولاية العناصر الثلاثة: سوى العنصر الترابي، والتهليل اللساني وصلاة التطوع مع طول القيام، يفيد الترقي في هذا المقام.

ولا يحسن ارتكاب الرخصة الشرعية بل إن العمل بالعزيمة يفيد الترقي فيه. وسر ذلك أن العمل بالرخصة يجذب الإنسان إلى طرف البشرية.

---

(١) هكذا وردت في الأصل وقد يكون المقصود. «هذه النسبة لا تنطبق عليها إكمالات النبوة بالنسبة إلى الولاية».

والعمل بالعزيمة يظهر المناسبة بالملكية. فكلما ازدادت المناسبة بالملكية تيسر سرعة الترقي في هذه الولاية.

وأما الأسرار التي تحصل في هذه الولاية فإنها ليست كالتوحيد الوجودي والشهودي، حتى يأتي شيء منها بالبيان.

فالأسرار في هذه الولاية البق بالإستتار وليست بقابلة للكشف والإظهار بوجه من وجوه القول.

الفصل الثاني والستون:

الكمالات الثلاثة والتجلّي ودائرة النبوة

وأما بيان الكمالات الثلاثة: كمال النبوة والرسالة وأولو العزم.

فلما تفضّل وترحم الشيخ إلى العنصر الترابي للسالك ورد على لطائفه فيض في كمال النبوة التي هي عبارة عن التجلي الذاتي الدائمي، ومعارف هذا المقام فقدان جميع المعارف. ويصير هنا إنكار حالات الباطن واللالونية واللاكيفية.

وههنا تظهر القوة في الإيمانيات والعقائد، وينقلب الإستدلال إلى البديهي، ومعارف هذا المقام شرائع الأنبياء عليهم السلام، وههنا يكون في نسبة الباطني والوسعة، بحيث تصير وسعة الولايات كلها من الولاية الصغرى والكبرى والعليا. لأشياء محضاً وضيقاً صرفاً في جنب تلك النسبة.

ويوجد في الولايات مناسبة: كل منها مع الأخرى صورة وحقيقية. وأما هنا فتفقد تلك المناسبة، وههنا تحصل حقيقة الوصل العرياني مع وجود الفقدان وإنكار حالات الباطن وحصول اليأس، ورؤية القصور، بحيث يرى نفسه أقبح من كافر ألإفرنج.

وأما كل وصل كان قبل هذا فقد كان داخلاً في دائرة الوهم والخيال، وسراباً يحسبه طمآن الوصال ماءً. ولم يكن هناك بيده شيء غير الحسرة والندامة.

ولما انكشف هذا المقام حين توجه الشيخ تيسر له معاملة شبيهة بالرؤية، وإن لم يكن هي الرؤية الموعودة في الآخرة بالنسبة إلى ما في الولايات من المشاهدات.

وكما أن الرؤية الآخروية مخصوصة بعالم الخلق فكذلك المعاملة هنا نصيب عالم الخلق.

وكما يصير لطائف عالم الأمر هنا لا شيئاً محضاً كذلك لطيفة النفس ولطائف العناصر كلها تصير هنا لا شيئاً.

وهذه المعاملة مخصوصة بالعنصر الترابي. وإن كان للعناصر الأخرى نصيب من هذه الدولة، فتبعية هذا العنصر الترابي.

وههنا أحكام الشرائع وأخبار الغيب من وجود الحق وصفاته تعالى. ومعاملة القبر والحشر وما فيه، والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر به المخبر الصادق كلها يصير بديهياً وعين اليقين، فان هنا يكون وجود الحق كالمرآة، وتكون الاشياء كالصور المرئية في المرآة التي وجود الصور فيها وهمي وخيالي، ووجودها واقعي. لكن في المرآة الصورية تشاهد أولاً الصورة، ثم المرآة، وأما ههنا فبخلاف ذلك. لأن وجود المرآة ههنا مرئي في أول النظر، ووجود الأشياء بعد التوقيت.

ولهذا يصير وجود الحق سبحانه بديهياً، ووجود الأشياء نظرياً يحصل بعد دقة النظر.

إسمع معاملة الحجب، وهي مع علو هذا المقام وبساطته ولا لونيته، إذا حصل الانكشاف التام في هذا المقام، اعلم أنه كان

مقابلاً للنظر، وازداد حيرة واعجب منه أنها لا تفيد أصلاً لحصول هذا المقام إذكار الصوفية المعمولة لهم.

وأما تلاوة القرآن مع التراتيل وأداء الصلاة بآدابها.

وأما الإذكار الثابتة في الحديث فكلها تفيد الترقي في هذا المقام وكذا الإشتغال بعلم الحديث والاتباع بالسنة يقوي وينوّر هذا المقام. وههنا تنكشف حقيقة سر: قاب قوسين أو أدنى.

الفصل الثالث والستون:

التجلّي الذاتي ودائرة الكمالات

إعلم أنهم قرروا التجلّي الذاتي الدائمي على ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: كمال النبوة وفيها يعملون مراقبة ذات. هي منشأ كمال كمال النبوة.

المرتبة الثانية: كمال الرسالة وههنا يعملون مراقبة ذات هي منشأ كمالات الرسالة، ويرد فيض هذا المقام على الهيئة الوحدانية الحاصلة للسالك في هذا المقام.

والهيئة الوحدانية عبارة عن مجموع عالم الأمر وعالم الخلق، فإنه تحصل لكل منهما بعد التصفية والتذكية هيئة أخرى:

مثلاً: إذا أراد شخص أن يركب معجوناً من أدوية مختلفة التأثيرات فإنه يدق ويسحق كل واحد منها فرادى ثم يجمعها في قوام الفند والعسل فيحصل للأدوية المذكورة هيئة أخرى، وينشأ لها إسم المعجون.

كذلك اللطائف العشر يحصل لها هيئة أخرى، ويقع لها عروجات كثيرة في هذا المقام. وفيما بعده من الفوقانية وأنواره ووسعته ولالونيته أكثر من المقام السابق. ونسبة كل مقام سابق

بالنسبة إليه كاللب مع القشر.

المرتبة الثالثة: التي هي عبارة عن كمالات أولي العزم، فورد على هيئة الوحدانية. وفيض هذا المقام في كمال العلو وكثرة الأنوار. وههنا يعملون مراقبة ذات هي منشأ كمالات أولي العزم، وفي هذا المقام تتكشف أسرار المقطعات القرآنية والمتشابهات، وههنا يجعلون بعض الأكابر صاحب سر يقع بين المحب والمحبوب يعطونه بواسطة الاتباع لرسول الله عليه السلام نصيباً من الفضيلة الخاصة بذلك الجناب.

واعلم أنه إذا وقعت معاملة الباطن على الهيئة الوحدانية يعني أن كمالات الرسالة تكون الترقي الباطن بمحض الفضل، ولا يبقى للعقل ولا للعمل دخل في ذلك أصلاً.

وإن كان الترقي في جميع المقامات بالفضل الإلهي لا بالعمل، لكان لما كانت الأعمال هناك كالأسباب. أما في هذا المقام فلا دخل لتلك الأسباب.

وإن للذكر في إزالة الكدور البشرية أثر تام. لكنه لترقي هذه المقامات لا ينتج.

مثلاً: لو اشتغل بذكر إسم الذات أو النفي والإثبات أو التهليل اللساني يرى أن هذه الأذكار لا تصل إلى هذا المقام بل تقف في الطريق إلا إذا ضمّ إلى التهليل اللساني لفظ محمد رسول الله والصلاة عليه (صلعم).

[ويحصل قوة في هذه المقامات الفوقانية بل يفهم الوسعة بلفظ محمد رسول الله أزيد من التهليل.

ويحصل ترقيات هذه المقامات بواسطة القرآن المجيد وكل مرتبة يصل إليها السالك فبواسطة الكلام المجيد.

الفصل الرابع والستون:

الحقائق الألهية وحقيقة الكعبة

وأما الحقائق الألهية فاعلم أنه بعد كمالات أولي العزم يقع السلوك إلى طرفين، وذلك في اختيار المرشد، فأيهما شاء يسلّك الطالب إليه:

أحدهما طرف الحقائق الألهية وهي عبارة عن حقيقة الكعبة وحقيقة القرآن وحقيقة الصلاة.

وثانيهما طرف الحقائق الأنبيائية، وتلك عبارة عن الحقيقة الإبراهيمية والحقيقة الموسوية، والحقيقة المحمدية.

ولما توجه إليه المرشد في حقيقة الكعبة شاهد في هذا المقام عظمة الحق وكبرياؤه، واستولت هيبته على الباطن. وههنا يعملون مراقبة ذات هو مسجود للممكنات.

وكم يوم حصل الفناء والبقاء في هذه المرتبة المقدسة فوجد إياه متصفاً بهذا الشأن.

وعلم توجه الممكنات إلى جانبه وإن كان في الكمالات

حصول لا لونيات[1] كثيرة ليست في هذه المقامات بهذا القدر.

ولكن علو النسبة الباطنة ووسعتها في هذه المقامات زيادة على الزيادة. واللالونية في حقائق الأنبياء مع هذا العلو والوسعة آمل منها في الحقايق الألهية. وسر ذلك أن السالك إذا حصل له الفناء والبقاء في مرتبة ذات البحث وتخلّق باخلاق تلك المرتبة، فلا جرم يحصل في مدركه قوة بدرك النسبة الفوقانية، وكذا لا يجد لا لونيات تلك المقامات فإنه يعلم أن نسبة الكمالات مع النسب الفوقانية، من جنس واحد.

ولو مناسبة صورية وسبب تميز اللالونية في نسبة الكمالات أن السالك كانت قوة إدراكه بقدر ما حصل له قبل في الولايات بسبب الفناء والبقاء في مرتبة الصفات والشؤنات.

ولهذا يعسر حين إدراك مرتبة الذات، فإن الكمالات الولايات كانت حاصلة من مرتبة أخرى، وكمال النبوة من باب آخر فلا مناسبة بينهما أصلاً ولو مناسبة صورية.

وأما ما قاله بعض الأكابر من أن مرتبة الولاية ظل مرتبة النبوة فغير ثابت، بل لا مناسبة بينهما في أمر ما أصلاً، وأما مرتبة الكمالات فلها مناسبة مع هذه الحقائق. بل قال المحققون إن الحقائق بالنسبة إلى الكمالات مثل الأمواج، ومعنى هذا أن الكمالات لما كانت فوقانية مواطن التجليات الذاتية الدائمي، فلا جرم. فكل نسبة إذا كانت فوقانية لا تخرج عن مرتبة الذات. فإطلاق لفظ الأمواج عليها سديد. فتظهر في نسبة الحقائق أشياء لا تظهر في نسبة الكمالات.

(١) «لا لونيات». هكذا في الأصل. وربما كانت للونيات.

مثلاً: يظهر في حقيقة الكعبة المعظمة عظمة وكبرياء ومسجودية للممكنات على نحو يعجز العقل عن إدراك ذلك.

الفصل الخامس والستون:

حقيقة القرآن ومرتبة الذات والأسرار

حتى أن حصول هذه المراتب بدون توجه المرشد متعذر. ولما توجه المرشد إليه في حقيقة القرآن المجيد عاين أسراراً في سرادقات العظمة والكبرياء، ورأى في عالم المثال حقيقة الكعبة وكيفيتها حتى عرّج منها ودخل حقيقة القرآن، وهي عبارة عن مبدأ وسعة حضرة الذات، ويكون شروع وسعة حضرة الذات من هذا المقام، ويظهر هنا أحوال شبيهة بالوسعة وإلاّ فاطلاق لفظ الوسعة هنا من ضيق ميدان العبارة.

وفي هذا المقام تظهر بواطن كلام الله، وفيه وجدت كل حرف من حروف القرآن المجيد بحر لا نهاية له موصلاً إلى الكعبة المقصودة. وهنا نكتة[1] أعجب أن في قراءة القرآن مع هذه القصص المختلفة والأوامر المتغايرة والنواهي المتباينة تظهر أشياء وأسرار وأنوار، وتلوح قدرته تعالى وحكمته البالغة في ذكر الله تعالى. لقصص وحكايات الأنبياء عليهم السلام لأجل تعليم العوام

(١) «نكتة» هكذا في الأصل. وربما أراد القول «وهنا ما هو أعجب».

وتفهيمه لهم وإرشاد الناس إلى أحكام الشريعة لهدايتهم.

ومع هذا يظهر في بطون تلك الحروف كيفيات عجيبة ومعاملات غريبة تزيد حيرة على حيرة. ويكون في كل حرف ظهور بشأن خاص يعاد به قلوب أهل الإختصاص. وفي وقت قراته القرآن يكون لسان القارىء كالشجرة الموسوية، ويكون القالب كله لساناً وعلو النسبة هنا. بحيث أن نسبة الكمالات مع علوها ووسعتها، بل نسبة حقيقة الكعبة المعظمة مع عظمتها وكبريائها تشاهد تحته. وهنا يعملون مراقبة مبدأ وسعة لأمثلية[٢] حضرة الذات، ومورد فيض هذا المقام هي الهيئة الوحدانية.

(٢) لأمثلية. وربما المقصود جعلها أمثل.

الفصل السادس والستون:

حقيقة الصلاة ومقامها وأسرارها

وبعد هذا توجه المرشد في دائرة حقيقة الصلاة، فشاهد هنا كمال وسعة لامثيله حضرة الذات، وأي شيء أظهر من الوسعة والعلو في هذا المقام الذي أحد جزئيه حقيقة للقرآن والآخر حقيقة الكعبة، وههنا يعملون مراقبة كمال وسعة لأمثلية حضرة الذات، وإذا وجد السالك خطأً من هذه الحقيقة الطيبة يخرج حين أداء الصلاة من هذا النشأ الدنيوي، ويدخل في النشأ الأخروي، ويحصل له حالة شبيهة بالرؤية الأخروية.

[وإذا رفع يديه للتحريمة يغسلهما من الكونين، وينبذ وراء ظهره كلتا الدارين، ويقف قائلاً الله أكبر في حضرة الملك الجليل، ويرى نفسه حقيراً مبتذلاً ولا شيئاً محضاً في جنب عظمة الله، ويفدي كله للمحبوب الحقيقي.

[وحين القرأة يكون موجوداً بوجود موهوب لايق بتلك المرتبة المقدسة، ويصير متكلماً مع حضرة الحق ومخاطباً عن ذلك الخباب المقدّس، ويكون لسانه كالشجرة الموسوية كما سبق في حقيقة القرآن.

وإذا ذهب إلى الركوع وأتى بغاية الخشوع يمتاز بمزيد القرب، ويتشرف حين قرأته التسبيح بكيفية أخرى، فلا جرم يحمد على هذه النعمة رافعاً رأسه من الركوع، ويقف أيضاً في حضرة الحق.

والسر في أداء القومة أنه إذا أراد السجود فالذهاب من القيام إلى السجود أبلغ من مزيد التذلل والإنكسار.

وأي شيء أبين من الذوق الذي يحصل حين أداء السجود، حيث يشير قوله تعالى، واسجد واقترب. وقوله عليه السلام: الساجد يسجد على قدمي الله، ولما توهم في هذا القرب ـ العنقاء اصطيدت ـ كبّر رافعاً رأسه من السجدة، وقوله الله أكبر أي أكبر من أن أعبده حق عبادته، وأقرب إليه حق قربه، وسؤال المغفرة في الجلسة، تشأ من جريمة ذلك التوهم، ثم يسجد ثانية لطلب المزيد من القرب، ثم يقعد للتشهد ويأتي بشك الخباب الإلهي وتحياته على إحسانه بهذا القرب، والإتيان بكلمتي الشهادة لأن هذه الدولة القربية بدون التصديق والإقرار بالتوحيد والرسالة محال وقرأة الصلاة على النبي عليه السلام لأن حصول هذه النعمة بواسطة تبعيته عليه السلام.

واختار الصلاة الإبراهيمية لأن في الصلاة خلوة مع المحبوب الحقيقي، ومنادمته مخصوصة، ومصاحبة منصوبة عن مقام الخلة التي هي منصب الخليل عليه السلام فكأنه يطلب بيركة هذه الصلاة الإبراهيمية تلك المنادمة فيكون نديم الحق فافهم.] واعلم أنه أدى الصلاة مع سننها وآدابها على ما ينبغي مثلاً: من آداب أن ينظر المصلي إلى موضوع سجوده في القيام وإلى قدميه في الركوع، وإلى نفسه في السجود، وإلى فخذيه في القعود، وكذا سائر الآداب إذا روعيت جميعاً فلا بد وأن يظهر حقيقة الصلاة.

وأما ما يفعلونه في القيام غمض العين مع التوجه لأجل الحضور والجمعية فلا بد وأن يحصل حضور اللطائف.

لكن لاحاجة لأجل ظهور النسب الفوقانية بغمض العين، بل الحضور هنا كله للقالب، وحضور القالب إنما يحصل مع رعاية الأدب الموافقة للسنّة، وغمض العين في القيام بدعة، وإن جرزوه لأجل الحضور.

وكذلك في استماع القرآن المجيد إن استمع من شخص حسن الصوت يظهر نسبة الولايات وأن استمع من شخص مجوّد يظهر نسب الحقائق الفوقانية فإن الصوت الحسن له مناسبة مع القلب، فلا جرم يظهر النسبة، وإذا قرىء القرآن بصحة الألفاظ وأداء الحروف من مخارجها والترتيل ولو بغير صوت حسن، فلا بد من ظهور الحقائق.

الفصل السابع والستون:

العبودية الصرف وسير القدمى

وبعد هذا توجه الشيخ في المرتبة المقدسة المعبودية الصرف، وههنا لا يبقى للقدم مجال وقد تمّ سير القدمى الذي كان في المقامات العابدية، لكن من عناية الله تعالى أنهم ما أوقفوا النظر، فيكون هنا السير النظري.

ولما توجه المرشد إليه في هذا المقام رأى في المعاملة نفسه في مقام عال نوراني جداً لا لوني. وكلما أراد في ذلك المقام لم يتيسّر ذلك فعلم (ح) أن ذلك مقام العبودية الصرف التي لا مجال للقدم هناك: لا للنظر الذي يسير حيث شاء وههنا ينكشف معنى الكلمة الطيبة:

لامعبود إلاّ الله

ويظهر بالايستحق العبادة الحقيقية بأي نوع كانت غير حضرة الأحدية المجردة.

واعلم أنه انتهى سير الحقائق الإلهية هنا.

الفصل الثامن والستون:

حقايق الأنبياء ودائرة الخلة

وأما حقائق الأنبياء عليهم السلام فهي عبارة عن الحقيقة الإبراهيمية والحقائق الموسوية والحقائق المحمدية والحقائق الأحمدية.

فاعلم أنه كما أن الترقي في الحقائق الإلهية موقوفة على التفضل، كذلك الترقي في حقائق الأنبياء عليهم السلام موقوفة على المحبة.

ولما توجه المرشد في الحقائق الإبراهيمية إلى مراقبة ذاته التي هي منشأ الحقيقة الإبراهيمية فاض عليه ببركة التوجه والكيفية العظيمة والأسرار الفخيمة.

وبعد ورود الأنور عليه من هذا المقام الذي هو عبارة عن خلة حضرة الحق يظهر أنس خاص وخلوة ذات اختصاص مع حضرة الذات.

وقد فهم أن هذه المعاملة والكيفية التي تحصل في هذا المقام لا تظهر في سائر المقامات العالية حتى من قسم الفضل الجزئي.

فإن في هذا المقام تظهر المحبوبية الصفاتية[1].

وفي الحقيقة المحمدية والأحمدية تظهر المحبوبية الذاتية.

---

(١) الصفاتية من صفة.

الفصل التاسع والستون:

المحبوبية الذاتية الصرف

ومعنى هذا أن الذات المتعالي كما يحب ذاته يحب صفاته.

فالأول يقال له الحقيقة المحمدية والأحمدية.

والثاني نشأ له إسم الخلة وإن كان هو الحقيقة الإبراهيمية.

وفي هذا المقام يحصل للسالك أنس مع الذات حتى لا يتوجه إلى غير حضرة الذات ولو بالأسماء والصفات، ولا إلى مزارات المشايخ.

ولا يطيب له الإستمداد والإستعانة من غيره تعالى ولو أرواحاً وملائكة. وههنا تكرار الصلاة الإبراهيمية مفيد للترقي.

الفصل السبعون:

المحبوبية الذاتية الصرف

بعد هذا يتوجه المرشد في دائرة المحبية الذتية الصرف، وأمره هنا بمراقبة ذات هي منشأ الحقيقة الموسوية والمحبية الذاتية للذات.

فورد عليه كيفية هذا المقام بالقوة التامة وظهر محبيته ذاته تعالى لذاته.

والحقيقة الموسوية عبارة عن تلك المحبية.

وأما ما ذهب إليه بعض الأكابر من إثبات المحبوبية لموسى عليه السلام. فإن كان مراده بذلك أنه عليه السلام محبوب للحضرة سلمنا، فإن مرتبة النبوة والرسالة وأولي العزم لا تحصل بدون المحبوبية. وإن الأنبياء الكرام كلهم محبوبون ومرادون لحضرة الحق. وطريقهم طريق الأحباب.

هذا الكلام ليس مناف لطلبتا وإن كان مراده بذلك أن الحقيقة الموسوية عبارة عن المحبوبية الذاتية في الحقيقة الأحمدية.

فذلك محل تأمل، وقد يحصل كيفية في هذا المقام حتى جرى من لسانه من غير اختيار: ربِ أرني، أنظر إليك. وهو خصوص هذا المقام.

والعجب أن هذا المقام مع ظهور المحبية الذاتية فيه يظهر هنا شأن الإستغناء والدلال. وهذا من اجتماع الضدّين.

من هنا يعلم سر ما صدر في بعض المواضع من حضرة الكليم عليه السلام من بعض كلمات يفهم الدلال مثل: إن هي ألا فتنتك، وأخاف أن يقتلون، وهنا يفيد الترقي أيضاً هذه الصلاة وهي:

اللهم صلِ على محمد وعلى آله وأصحابه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين خصوصاً على كليمك موسى (عم).

الفصل الواحد والسبعون:

دائرة المحبة الممتزجة بالمحبوبية

وبعد هذا يتوجه المرشد إليه في حقيقة الحقائق التي هي عبارة عن المحمدية الحقيقية (عم)، وأمره هنا بمراقبة ذات محب ذاته، ومحبوب ذاته منشأ الحقيقة المحمدية، فظهرت له المحبة الممتزجة مع المحبوبية، واجتماع هاتين النشأتين لها كيفية لا يستقيم بيانها بالتحرير.

وحصل له فناء وبقاء في هذه المرتبة المقدسة وتيسّر له فيها إتحاد خاص بالنبي عليه السلام، وأوصله بتبعيته صلعم إلى مرتبة، وكشف له في البين عن أسرار إظهارهما (موجب الألفاظ الفتنة)[1].

وههنا يظهر معنى ما قال بعض الأكابر من ارتفاع التوسطة، وشوهد أنه وقع لهذا الشخص مع ذلك الخباب (صلعم) معاملة المعية من العتاب والتوسد بحبيب واحد، ومع ذلك كله يحصل له[2] مع حبيب الله محبة خاصة يتضح منها سر ما قال إمام

(١) هكذا أتت في الأصل، وقد تكون جملة اعتراضية لذلك وضعناها بين قوسين.
(٢) وفي الأصل يحصله.

الطريقة حضرة المجددي أحبه الله تعالى لأنه رب محمد (صلعم).

وههنا تطيب المشابهة والمناسبة بحبيب الله (صلعم) في جميع الأمور جزئية وكلّية، دنيوية ودينية، خصوصاً العمل بالكتاب والسنة: والقوة ففيهما فتبصّر.

الفصل الثاني والسبعون:

دائرة المحبوبية الصرف وسيرها

وبعد هذا يتوجه المرشد إليه في الحقيقة الأحمدية، وأمره هنا بمراقبة ذات هو محبوب ذاته ومنشأ الحقيقة.

وههنا يظهر علو النسبة مع شعشعات الأنوار، ويبدو في البين أسرار، وفي هذا المقام تنكشف المحبوبية الذاتية كما كان في الخلة انكشاف المحبوبية الصفاتية.

ومعنى المحبوبية الذاتية أن في ذات المحبوب مع قطع النظر عن صفاته الجميلة التي هي عبارة عن مثل الخط والخال، وهما من موجبات المحبة، ويكون الشيء موجباً للتعشق.

وههنا تفيد هذه الصلاة الترقي، وهي: اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه. أفضل صلواتك بعدد معلوماتك، وبارك وسلم كذلك.

الفصل الثالث والسبعون:

دائرة الحب الصرف والتوجه وسيرها

وبعد هذا يتوجه المرشد إليه في الحب الصرف الذاتي، وأمره ههنا بمراقبة الحب الصرف الذاتي.

ويظهر ههنا كمال العلو واللالونية، ونسبة الباطن، فإن هذه المرتبة أقرب إلى حضرة الإطلاق واللاتعين.

ومن المقامات المخصوصة بالنبي عليه السلام، وحقائق سائر الأنبياء عليهم السلام، أي وإن هذا من لا تثبت في هذا المقام. فإن عند الأمام الرباني:

أول المعاني الحق بحضرة اللاتعيين هو التعيّن الحبي. وقد قرر رضي الله عنه أن هذا التعيين الأول في الحقيقة المحمدية.

الفصل الرابع والسبعون:

دائرة اللاتعيين وتوجهه وسيرها

وبعد هذا قد يتوجه المرشد في مرتبة اللاتعيين، وهذا المقام أيضاً من المقامات الخاصة بحضرة الرسالة، (صلعم) ولا يكون هنا السير القدمي، وأما السير النظري فلا بد من أن يكون، ولكن إلى أن يقع النظر.

(١) هكذا وردت في الأصل.

الفصل الخامس والسبعون:

دائرة السيف القاطع وسيرها

وبعد هذا يتوجه المرشد في دائرة السيف القاطع.

فاعلم أن هذه الدائرة وقعت حذاء[1] دائرة الولاية الكبرى، ووجه تسميتها بهذا الإسم أن السالك إذا وضع قدمه في هذه فإنها تقطع وجوده مثل السيف القاطع، وتعدمه ولا تترك منه إسماً ولا أثراً. ولهذا سمّوا بها.

الفصل السادس والسبعون:

دائرة القيّوميّة وتوجهه وسيرها

وبعد هذا يتوجه المرشد إليه في دائرة القيّوميّة.

وهي ناشئة من دائرة كمالات أولي العزم، وسر ذلك:

إن القيّوميّة منصب الأنبياء، من أولي العزم، وخصّ الله بهذا المنصب العظيم في هذه الأمة حضرة المجددي وأولاده وخلفائه.

كما أن عبد الله الدهلوي قدس الله سره اتخذ هذا المقام فكان قيوم الزمان وقطب الدوران. فكل أحد تعلّق بهذه المشيئة الإلهية بهذا المنصب يخصّونه به. فلا حاجة له بالتوجه. فظهر في البيت أحوال وأسرار لا يستقيم بيانها باللسان، والتشرّف بفيض خاص من هذه الدائرة العالية الشأن، الذي قصر عن كيفية الأذهان.

الفصل السابع والسبعون:

دائرة حقيقة الصوم وسيرها

وبعد هذا قد يتوجه المرشد إليه في دائرة حقيقة الصوم التي وقعت حذاء[1] حقيقة القرآن. فإذا ترحم وتفضّل المرشد بالتوجه في هذا المقام ورد على السالك الذرّة اللامقدارية أثار هذه الحقيقة العالية وأنوارها وعجائبها وأحوالها الخارجة عن التعقّل. وظهر له عدم خاص وأحمدية ذات اختصاص، وحصل له حظ وافر وبحر عميق وأسرار لا يمكن إظهارها.

وهذا بيان السلوك والمقامات لهذه الطريق منحها الله بلطفه العميق إلى السالك الصديق.

ولو صرف تمام عمره في شكر هذا الإحسان ولم يبق من نفسه إسماً ولا أثراً وجعل ذاته وشأنه كتراب الذل والهوان، لما أدى واحداً من ألف إلاّ بلطف المنان.

بل لو كان على كل شعرة لسان لما أدى شكر شيء.

---

(١) هكذا وردت في الأصل.

الآن الأمان الأمان أسألك حق الإيمان يا عزيز
يا لطيف يا حنان بحرمة سورة الرحمان
والحمد لله على ذلك تماماً ودواماً
والصلاة والسلام على أسعد
المخلوقات سراً وظهوراً
وكمالاً

م م
م

الجـزء الثانـــي:
جــامع الأصـــول
الطـــرق الصوفية